وزارة التَّعليـم العــالي والبحــث العلمــي
الــمركز الــجامعي الشريف بوشوشة – آفلــو
معهد الآداب واللغــات
قسم اللغة العربيَّة وآدابها

محاضرات في علوم القرآن

محاضرات مقدَّمة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك – ليسانس .

إعداد :

الدكتور : رابح بوصبع

السَّنة الجامعيَّة : (1445 هـ – 1446 هـ / 2024 م – 2025 م)

عنوان الليسانس:الأدب العربي

السداسي:الأول

الأستاذ المسؤول عن الوحدة التعليمية الاستكشافية: **د. رابح بوصبع .**

الأستاذ المسؤول على المادة : **د. رابح بوصبع .**

المادة:علوم القرآن

وحدة التعليم الاستكشافية	مادة: علوم القرآن	المعامل:01	الرصيد:01

محتوى المادة:

	برنامج المحاضرات :
1	**تعريفات: أهمية القرآن و علومه في الدراسات اللغوية و الأدبية.**
2	**تاريخ القرآن :1- نزول القرآن، ظاهرة الوحي، التنجيم ..**
3	**2- مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب سور وآيات القرآن (وقفية أم اجتهادية)**
4	**مكونات النص القرآني:1- اللفظة، العبارة، الآية، السورة**
5	**2- القصة القرآنية، خصائصها ، أهدافها.**
6	**سياقات النص القرآني:1- السياق السببي،: أسباب النزول2.- السياق المكان: المكي والمدني**
7	**3- السياق التراتبي: أول وآخر ما نزل ، الناسخ والمنسوخ**
8	**4- السياق التداولي:(القراءات القرآنية، مفهومها، أنواعها، الحكمة منها)**
9	**مناهج التفسير ونقدها:1- معنى التفسير و التأويل والشرح، شروط المفسر(العلمية والذاتية)، تاريخ التفسير، (في عهد الصحابة، والتابعين وعصر التدوين)**
10	**2- التفسير بالمأثور: خصائصه ، أعلامه، نقده. التفسير بالرأي: أعلامه، نقده**
11	**3- التفسير اللغوي: خصائصه،أعلامه، نقده**
12	**4- التفسير البياني والأدبي: خصائصه،أعلامه، نقده**
13	**الإعجاز القرآني: 1-الإعجاز اللغوي والبياني**
14	**2- الإعجاز الإخباري والتشريعي**

طريقة التقييم:يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلا طوال السداسي

المراجع: (*كتب،ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ)

1. **علوم القرآن بين البرهان والإتقان** تأليف: د. حازم حيدر
2. **علوم القرآن من خلال مقدِّمات المفسرين** تأليف د. محمد صفاء شيخ حقي
3. **دراسات في علوم القرآن** تأليف: أ. د فهد الرومي
4. **القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ون**قد تأليف: د.عبد الرحمن الشهري

المحاضرة 01 : تعريفات: أهمية القرآن و علومه في الدراسات اللغوية و الأدبية.

القرآن الكريم وبناء الهوية اللغوية :

يمثل القرآن الكريم نقطة تحول جذرية في تاريخ اللغة العربية، فقد منحها قداسة وشرعية، ورفعها من مجرد وسيلة تعبير شعري وقبلي إلى لغة للوحي والبيان الإلهي. ولم يكن هذا التحول محصورًا في البعد الديني، بل امتد ليشمل كل البنية اللغوية والأدبية للأمة. فحين نزل القرآن بلغة قريش، وحّد ألسنة العرب، وصهر اختلاف اللهجات في بيان واحد، مما أرسى أسسًا جديدة للاستعمال اللغوي. وقد أشار المستشرق الألماني نولدكه إلى هذه الحقيقة بقوله: "لولا القرآن لما كان للعربية هذا البقاء والانتشار" [نولدكه، تاريخ القرآن، ص: 27].

أصبح القرآن الكريم معيارًا في النحو والصرف والمعجم والأسلوب، وهو ما أدى إلى نشوء علوم اللغة استنادًا إليه، كعلم النحو على يد سيبويه والخليل. وقد حفّز ذلك علماء اللغة على الاستشهاد بآياته في تقعيد الظواهر اللغوية، وهو ما نلمسه بوضوح في كتب مثل "الكتاب" لسيبويه. وقد وُصف القرآن بأنه "دستور اللغة" لما فيه من شواهد تمثل أرقى صور البيان العربي.

إنّ عناية العلماء بالقرآن في دراستهم اللغوية والأدبية لم تكن مجرد توظيف بلاغي، بل كانت رؤية منهجية تحاول أن تستخرج من النص القرآني قوانين ثابتة للغة. وقد أشار الجاحظ إلى هذا حين قال: "القرآن أعربُ الكلام، وأبينُه للمعاني" [الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 135].

ولا ريب أن هذا التوجه أثر في هوية اللغة العربية، فأصبحت لغة النص المقدس، وهو ما جعلها قادرة على مقاومة الاندثار، بل ومهيأة للامتداد الحضاري. وهكذا، شكّل القرآن قاعدة فكرية ولغوية لمشروع حضاري شامل كان للغة فيه جوهر وكيان، لا مجرد أداة تواصل.

العلوم القرآنية وأثرها في تطور علم اللغة

ليست علوم القرآن مجرد تفريعات دينية، بل هي في حقيقتها أدوات دقيقة لتحليل البنية اللغوية للنص. فعلم القراءات، على سبيل المثال، يُظهر لنا مدى ثراء العربية وتنوع لهجاتها، كما يكشف عن إمكانات الصوت والمعنى في الكلمة القرآنية. وقد جعل ذلك من القرآن مختبرًا حيًّا لدراسة الفونولوجيا والصرف، إذ تُبيّن اختلافات القراءات تنوع البنية الصوتية للنص القرآني.

كما أن علم إعراب القرآن قد لعب دورًا أساسيًا في نشوء علم النحو. فقد كان الحرص على فهم معاني القرآن بدقة هو الدافع الأول لتقعيد اللغة. يقول الزجاج: "إنّ تعلم النحو يعين على فهم كلام الله وتأويله" [الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ص: 5]. وبهذا صار النحو أداة لفهم النص القرآني، لا مجرد علم نظري.

أما علم الوقف والابتداء، فيرتبط ارتباطًا مباشرًا بعلم المعاني، إذ إن مواضع الوقف في الآية قد تُغيّر المعنى بشكل جوهري، وهو ما يقتضي وعيًا عميقًا بالسياق اللغوي والتركيبي. قال ابن الأنباري: "الوقف موضع البيان، وهو علم لا يُستهان به" [ابن الأنباري، الوقف والابتداء، ص: 11].

ويُعدّ علم البلاغة أبرز العلوم التي استفادت من القرآن، إذ لم تُفهم الفروق الدقيقة بين الحقيقة والمجاز، والإيجاز والإطناب، والتشبيه والاستعارة، إلا من خلال التأمل في النص القرآني. ولذا، فإن علماء

البلاغة الكبار، كعبد القاهر الجرجاني، قد استندوا إلى الآيات الكريمة في تحليل الظواهر الأسلوبية والبيانية.

القرآن الكريم ومكانته في البيان الأدبي :

يشكل الأسلوب القرآني قمة البيان العربي، وقد اعترف العرب الأوائل – وهم أهل الفصاحة والبيان – بعجزهم عن الإتيان بمثله. بل تحداهم القرآن في صميم ما يتقنون: البلاغة والبيان، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: 88]. وهذه الآية لا تُظهر فقط الإعجاز، بل تُؤسس لمعيارية بلاغية مطلقة.

تميز النص القرآني بجزالة الألفاظ، وعمق المعاني، والإيقاع الصوتي الذي يخاطب الوجدان والعقل معًا. وقد كتب مصطفى صادق الرافعي: "القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا تقدر البلاغة على وصف بلاغته" [الرافعي، إعجاز القرآن، ص: 42]. ولذلك، كان من الطبيعي أن يُصبح معيارًا نقديًا في تقييم الأدب والنثر والشعر.

واستفاد النقاد الكبار من هذا المصدر الفريد في بناء نظرياتهم. فعبد القاهر الجرجاني، في نظريته عن النظم، انطلق من تأمله في بناء الجملة القرآنية، وتحليل تركيبها. قال: "البلاغة لا تُدرك إلا بفهم العلاقات بين الكلمات، كما نراها في تركيب القرآن" [الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 79].

كما أن بعض صور المجاز والتشبيه القرآني أصبحت نماذج تُدرّس وتُحاكى. مثلًا، في قوله تعالى: ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: 11]، نجد الجمع بين الإيجاز والتهويل، مما يعكس براعة بيانية تتجاوز التخييل الأدبي المألوف.

القرآن الكريم كمنهج في النقد والتحليل اللغوي :

لم يكن القرآن الكريم مجرد نص يُحتذى به، بل صار منهجًا في التحليل والتقويم، خاصة في كتب النقد الأدبي القديمة. فقد اعتمد النقاد على النص القرآني في وزن النصوص الأخرى، وبيان مواطن الخلل فيها، وهذا ما جعل من القرآن ميزان البلاغة في النقد العربي. وقد قال الفارابي: "القرآن هو المثال الأعلى في البيان المعجز، ومنه تُستمدّ قواعد الخطاب المؤثر" [الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص: 92].

ولم يقتصر الأمر على النقاد، بل امتد إلى الفلاسفة والمؤرخين. فابن خلدون، مثلًا، رأى في القرآن أصل العلوم كلها، وقال: "وفيه البيان لما به يُهتدى إلى قوانين اللسان" [ابن خلدون، المقدمة، ص: 345]. فالنص القرآني كان مصدرًا لغويًا، وأدبيًا، ومنهجيًا في آنٍ واحد.

وقد استفاد منه الأدباء في البناء الأسلوبي، إذ وظفوا تقنيات القرآن مثل التكرار، التقابل، الصور البلاغية، ولفت الانتباه عبر أدوات نحوية كالتقديم والتأخير، والعدول عن الترتيب المألوف. ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: 81]، حيث قدّم الفعل ليفيد التعجيل والتهويل، وهي تقنية نقدية فنية.

ولا بد من الإشارة إلى أن الدراسات التطبيقية على آيات معينة تؤكد هذا الدور، مثل تحليل الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 281]، إذ تأخر الظرف "فيه" لغاية بلاغية تتعلق بتعميق الشعور بالرهبة. فكل اختيار لغوي في القرآن له دلالته، وهو ما يجعله مادة حية لا تنضب في التحليل اللغوي والنقدي.

خاتمة :

يتضح مما سبق أن القرآن الكريم لا يمثل فقط معجزة دينية بل هو معجزة لغوية وأدبية بكل المقاييس، وقد ساهم في حفظ اللغة العربية وتطوير علومها، كما كان منبعًا ومنهجًا لتحليل النصوص وتطوير النقد. فلا يمكن فصل القرآن عن اللغة، ولا عن البلاغة، بل هو المصدر والمرجع. ولعل من واجبنا اليوم، في ظل التحديات المعاصرة، أن نعيد إدماج هذا التراث القرآني العظيم في تحليل الخطاب العربي المعاصر، وأن نوظف علومه لفهم اللغة والأدب فهمًا حيًّا ومعاصرًا.

المصادر والمراجع :

1. نولدكه، تاريخ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
2. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.
3. ابن الأنباري، الوقف والابتداء، دار المعارف، القاهرة، 1957.
4. الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت، 1985.
5. الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002.
6. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، 1994.
7. الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق، بيروت، 1986.
8. ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2001.

المحاضرة 02 : تاريخ القرآن : نزول القرآن، ظاهرة الوحي، التنجيم ..

مقدمة :

يُعد القرآن الكريم النص المركزي في الإسلام، وهو الكتاب الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم خلال فترة تمتد لحوالي 23 سنة. ويُعتبر القرآن معجزة إلهية في بلاغته، وشريعته، وتشريعاته. لفهم مكانة القرآن، لابد من تناول موضوع نزوله، ظاهرة الوحي التي صاحبت ذلك، بالإضافة إلى مناقشة بعض الظواهر التي ترافقت مع المجتمع العربي قبل الإسلام مثل التنجيم، ومدى تأثيرها على النص القرآني. هذه المحاضرة تتناول هذه المحاور الأساسية بنظرة تاريخية وأكاديمية.

1. نزول القرآن: التوقيت والظروف

نزول القرآن هو الحدث المركزي في التاريخ الإسلامي، حيث جاء تنزيله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، بدايةً من غار حراء. تبدأ قصة نزول القرآن مع تلقي النبي أولى آيات الوحي، في شهر رمضان، في ليلة القدر، كما ورد في قوله تعالى:

"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" (القدر:1).

يمتد نزول القرآن على فترة 23 سنة، من بداية البعثة وحتى وفاة النبي. كانت الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للعرب في ذلك الوقت شديدة التعقيد، حيث تسود الجاهلية من حيث التعددية الدينية، والعادات القبلية، والعنف، والجهل بالكتب السماوية السابقة.

كان نزول القرآن يجيب عن حاجات تلك المرحلة التاريخية، إذ كان منهجًا تشريعيًا، وهديًا أخلاقيًا، ودعوة للتوحيد، وتحرير الإنسان من الجهل والخرافة.

2. ظاهرة الوحي في الإسلام :

الوحي في الإسلام هو الطريقة التي بها يُنقل كلام الله إلى الأنبياء. وهو في القرآن الكريم حقيقة مقدسة، تختلف عن الإلهام العادي أو الأحلام، ويتميز بالوضوح والسمع، غالبًا على يد الملك جبريل عليه السلام.

يقول الله تعالى" :وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)" (النجم: 3-4).

ظاهرة الوحي تمتاز بتنوع طرقها: بعض الآيات نزلت فجأة، وبعضها كان تدريجيًا، وبعضها عبارة عن إلهام داخلي للنبي.تاريخيًا، ظاهرة الوحي لم تكن محصورة في الإسلام فقط، بل وجدنا أشكالًا مختلفة منها في الديانات السماوية السابقة (اليهودية والمسيحية) حيث نزل الوحي على الأنبياء أيضاً. لكن خصوصية الوحي في الإسلام تتمثل في كونه خطاب الله المباشر للبشر، المتعبد بالقراءة، ومحفوظًا بلا تغيير.

3. القرآن والتنجيم: قراءة في السياق الثقافي

قبل الإسلام، كان العرب يعيشون في بيئة ثقافية تضم مفاهيم وممارسات متنوعة من بينها التنجيم، الذي يُقصد به معرفة الغيب من خلال مواقع النجوم والكواكب وتأثيراتها. وقد كان للتنجيم دور في تحديد مصير الأفراد والقبائل حسب المعتقدات الشعبية.

يرد القرآن على التنجيم بشكل مباشر وغير مباشر، مذمماً الاعتماد عليه في الحكم والتصرف، مؤكداً أن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده. يقول تعالى:

"قُل لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ" (النمل: 65).

وقد تحدث القرآن عن "الكواكب الطالعة" وأنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله، في تلميح مباشر إلى رفض الاعتماد على التنجيم:

"وَأَنَّ عَلَيْكُمْ نَفْسًا لَا تَمُوتُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (11) وَأَنَّ هَٰذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (12)" (الأنعام: 11-12).

من هنا، ينطلق القرآن في هدم ممارسات الجاهلية التي كانت تؤمن بالسحر والتنجيم، ويوجه الناس إلى التوكل على الله، وإلى العلم واليقين.

4.نزول القرآن: مراحل وأحكام

تجدر الإشارة إلى أن القرآن نزل على شكل آيات وسور، بعضها مفصل وبعضها مجمل. ولما نزل القرآن على فترات متفاوتة، كان مرتبطًا بالظروف التي مر بها النبي والمسلمون.

تنقسم آيات القرآن إلى:

- **آيات أحكام** :تتضمن التشريعات الفقهية والأحكام.
- **آيات قصصية** :تحكي قصص الأنبياء والأمم السابقة.
- **آيات عقائدية** :تؤكد التوحيد، وتدحض الشرك.
- **آيات توجيهية وأخلاقية** :ترشد الناس إلى السلوك القويم.

وقد كان حفظ القرآن شفاهة وجمعه كتابياً على يد الصحابة، مما ساهم في حفظه عبر العصور.

.5أهمية فهم نزول القرآن وظاهرة الوحي في الدراسات القرآنية

فهم نزول القرآن وظاهرة الوحي يشكلان قاعدة لفهم النص القرآني وتأويله. كما يساعد ذلك في تمييز النصوص التي نزلت في مكة (آيات مكة) والتي تتصف بعناصر التوحيد والعقيدة، عن تلك التي نزلت في المدينة (آيات المدينة) التي تركز على التشريع.

ظاهرة الوحي ليست فقط حدثاً تاريخياً، بل هي أيضًا تجربة روحية وإيمانية للمسلمين، تلهمهم في حياتهم اليومية.

الخاتمة

يُعد تاريخ نزول القرآن ظاهرة مركزية في الإسلام، تبرز من خلالها خصوصية النص القرآني ووحدانية رسالته. ظاهرة الوحي تكشف عن علاقة الإنسان بالخالق، وتضع قواعد للإيمان والعبادة. أما التنجيم، فيتم تفكيكه نقدياً في القرآن، ويدعو إلى اعتماد العقل والتوكل على الله وحده.

تتطلب دراسة هذه المحاور فهماً عميقاً للسياق التاريخي والثقافي، مع الاستعانة بالعلوم الإسلامية والنقدية الحديثة، لضمان قراءة دقيقة للنص وفهم أبعاده المتعددة.

قائمة المراجع :

- الطبري، محمد بن جرير .*تاريخ الأمم والملوك*.
- ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*.
- السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*.

- مالك بن نبي، *قضايا الثقافة*.
- عبد الله صالح، *ظاهرة الوحي في الإسلام*.
- غالي، محمد، *القرآن بين التحدي والإنجاز*.

الخاتمة

تاريخ القرآن الكريم لا يمثل فقط تسلسلًا زمنيًا للنزول والجمع، بل هو شهادة حية على تضافر الوحي والتوثيق البشري، في منظومة فريدة من الحفظ والضبط .وإنّ العناية بتاريخ القرآن ضرورة لفهمه وفهم مناهج التعامل معه .وصلى الله على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

الزرقاني، مناهل العرفان، دار الفكر، بيروت،.1996

الداوودي، التبيان في علوم القرآن، دار ابن كثير، دمشق،.2002

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت،.2000

الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت،.1988

الشيخ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض،.2006

المحاضرة 03 : مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب سور وآيات القرآن (وقفية ام اجتهادية)

المقدمة :

القرآن الكريم ليس مجرد نص تعبّدي، بل هو وثيقة محفوظة بتعهد إلهي، ومن هنا كانت مراحل جمعه وتدوينه وترتيبه محل عناية بالغة من الصحابة رضوان الله عليهم، منذ عهد النبي ﷺ إلى عهد الخلفاء الراشدين. والتأمل في هذه المراحل، وفي الكيفية التي رتّبت بها سور القرآن وآياته، يُظهر لنا جانبًا مهمًا من الإعجاز التاريخي والتوثيقي لهذا الكتاب العظيم، والذي لم يشهد مثله أي نص ديني آخر. وقد وعد الله تعالى بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فكان جمعه وترتيبه جزءًا من هذا الحفظ.

جمع القرآن في عهد النبي ﷺ :

كان النبي ﷺ يحرص بعد كل نزولٍ للقرآن على توثيقه كتابيًا وشفهيًا، حيث كانت الآيات تُكتب فور نزولها بأمر منه، ويُعين لكل آية أو مجموعة آيات موضعها من السورة، وهو ما يدل على ضبط إلهي دقيق. وقد كتب الصحابة القرآن على وسائل متاحة مثل العسب (جريد النخل)، واللخاف (الحجارة الرقيقة)، والرقاع (الجلود)، والعظام. وكان من كتّاب الوحي: زيد بن ثابت، أبيّ بن كعب، عبد الله بن مسعود، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم. وكان النبي ﷺ يراجع ما نزل من القرآن مع جبريل عليه السلام كل سنة، حتى كان العام الذي توفي فيه، فعارضه مرتين، كما في الصحيح عن

فاطمة الزهراء رضي الله عنها [البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعارض النبي بالقرآن، ص: 745.]

هذا الجمع لم يكن في مصحف واحد، بل موزعًا على وسائط متعددة وفي صدور الصحابة، مما يُبيّن أن الحفظ كان في القلوب أولًا، ثم التدوين لاحقًا، وهذا من أسرار حفظ القرآن من التغيير، إذ جمع بين الصدر والسطر. وبهذا تأسّست أولى مراحل التوثيق النبوي، التي اعتمدت على توجيه جبريل، ومتابعة النبي، وتدوين كتّاب الوحي، وحفظ الصحابة، مما جعل المرحلة التأسيسية لجمع القرآن هي الأقوى والأكثر تأصيلًا من حيث الضبط والتوثيق [الزرقاني، مناهل العرفان، ص: 193.]

جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

عقب وفاة النبي ﷺ، وقعت معركة اليمامة سنة 12 هـ، واستُشهد فيها عدد كبير من حفظة القرآن، مما جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُبادر بفكرة جمع القرآن في مصحف واحد، خشية أن يضيع. وعندما عرض الأمر على أبي بكر الصديق، تردد في البداية، ثم شرح الله صدره، وعيّن زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة. قال له: «إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن واجمعه» [البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ص: 744.]

بدأ زيد يجمع الآيات من الرقاع، واللخاف، والعظام، ومن صدور الرجال، وكان لا يُثبت شيئًا حتى يجد عليه شاهدين من الصحابة، ما بين حافظ وكاتب، حرصًا على الضبط. ولم يكن يعتمد على حفظه الشخصي رغم كونه من كتبة الوحي، مما يُظهر التوثيق الجماعي. واستمر هذا الجمع حتى

اكتمل في مصحف واحد، حفظه أبو بكر، ثم عمر، ثم حفصة بنت عمر. وهذا الجمع تميّز بأنه توثيقيٌّ حذر، غير موجَّه لاجتهاد شخصي، بل معتمد على مصادر نبوية ثابتة، وشهادة شهود [السيوطي، الإتقان، ص: 137.]

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

مع توسع رقعة الإسلام، ودخول أقوام غير العرب، ظهرت اختلافات في نُطق القرآن وقراءاته، خاصة بعد الفتح في أذربيجان وأرمينية، حيث سمع حذيفة بن اليمان بعض المسلمين يقرؤون بطرق مختلفة، فخاف من الفتنة، فقال لعثمان: «أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف اختلاف اليهود والنصارى» [البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ص: 745.]

فاستجاب عثمان، وشكّل لجنة رباعية من كبار الصحابة، ترأسها زيد بن ثابت، ومعه عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. وجمعوا المصحف وفق العرضة الأخيرة التي قرأها النبي ﷺ على جبريل في آخر رمضان من حياته. ثم نسخوا من هذا المصحف عدة نُسخ، أرسلها إلى الأمصار الكبرى (الكوفة، البصرة، الشام، مكة، اليمن)، وأمر بحرق ما خالفها من المصاحف، حفاظًا على وحدة النص.

تميز هذا الجمع بأنه توحيدي، هدفه ضبط الرسم والقراءة على حرف واحد، وقد أجمع عليه الصحابة، ولم يُعارضه أحد، بل اعتُبر من أعظم مناقب عثمان في خدمة القرآن [الدهلوي، الفوز الكبير، ص: 52].

ترتيب السور والآيات :

أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات داخل السور هو توقيفي، أي بأمر من الله عز وجل عن طريق جبريل إلى النبي ﷺ. ومن الأدلة على ذلك ما ورد عن عثمان بن أبي العاص: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه شيء، دعا أحد الكتبة، وقال له: ضعوا هذه الآية في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا» [السيوطي، الإتقان، ص: 174]. وهذا يدل على أن كل آية في موضعها بأمر نبوي.

أما ترتيب السور، فقد اختلف فيه العلماء. فذهب جمهورهم إلى أنه توقيفي أيضًا، مستدلين بأن النبي ﷺ قرأ السور بترتيبها الحالي في الصلاة، كما ورد في حديث: «اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران» [مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، ص: 456]. وذهب بعض العلماء إلى أن ترتيب السور اجتهادي، خاصة في مصاحف الصحابة الفردية التي سبق جمع عثمان، كمصحف ابن مسعود.

قال الزركشي: "ترتيب السور توقيفي على الصحيح من أقوال العلماء، وإن خالفه بعض أهل الظاهر" [الزركشي، البرهان، ص: 253]. فإجمالًا، يُمكن القول إن الآيات قطعًا ترتيبها توقيفي، وأما السور، فالأرجح أنه كذلك، وإن وردت آثار باجتهادية بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة.

الحكمة من الترتيب القرآني :

ترتيب المصحف الحالي لم يكن خاليًا من المقاصد البلاغية والتربوية، بل حمل في طياته حكمًا عديدة. فقد افتُتح المصحف بسورة الفاتحة، التي تعد "أم الكتاب"، وتجمع بين الثناء والدعاء والتعليم،

مما يجعلها مدخلًا مثاليًا للتلاوة والتدبر. ثم تلتها السور الطوال كالبقرة وآل عمران، لما فيها من تشريع وبناء عقدي، ثم الأواسط، ثم المفصل، لتنتهي بالسور القصيرة التي يسهل حفظها وتناسب الخواتيم. كما أن هذا الترتيب قد راعى التدرج في العرض والتربية، وربط بين السور بطريقة متناسقة. مثلًا، سورة النساء تأتي بعد آل عمران، وكلاهما يتحدث عن أحكام الأمة والمجتمع. كذلك، كان الجمع بين السور المكية والمدنية يحقق توازنًا بين العقيدة والشريعة، وبين التثبيت والبيان.

وقد أشار الإمام السيوطي إلى إعجاز هذا الترتيب فقال: "الترتيب الذي عليه المصحف الآن، توقيفي لا شك فيه، والقول بأنه باجتهاد مردود" [السيوطي، الإتقان، ص: 174]. كما أن وجود سياقات بلاغية وقصصية مترابطة بين السور يؤكد أن الترتيب لم يكن اعتباطيًا، بل مدروسًا ربانيًا.

الخاتمة

إن جمع القرآن وترتيبه عبر العصور الثلاثة (النبوي، والصدّيقي، والعثماني) يعكس عناية ربانية بهذا الكتاب العظيم. وقد مثّل كل جمع منها مرحلة تكاملية لحفظ النص القرآني من التغيير والتحريف. كما أن ترتيب السور والآيات لم يكن وليد اجتهاد فردي أو ترتيب مزاجي، بل تأسس على توجيه الوحي، وإجماع الصحابة، والضبط الدقيق.

وقد أجمع علماء الأمة، قديمًا وحديثًا، على أن هذا الترتيب يحمل من الإعجاز في المعنى، والبناء، والنسق، ما يعجز عنه البشر. وهو شاهد على أن القرآن محفوظ ليس فقط في حروفه، بل في بنيته الكلية. فحُقّ للمسلم أن يطمئن إلى مصحفه، وأن يعتزّ بتاريخ هذا الجمع الفريد، القائم على التنزيل، والتدوين، والتوقيف.

قائمة المصادر والمراجع

1. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، 2006.

2. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1996.

3. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1943.

4. الدهلوي، شاه ولي الله، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

5. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 1987.

6. مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1991.

المحاضرة 04 : مكونات النص القرآني: – اللفظة، العبارة، الآية، السورة

اللفظة القرآنية :

تميّزت اللفظة القرآنية بكونها الوحدة الأولى في بناء النص، وهي أصغر عنصر يحمل دلالة مستقلة. فالقرآن الكريم لم يُصغ بأي لفظة عبثًا، بل كانت كل كلمة تُختار بعناية إلهية دقيقة لتأدية وظيفة دلالية وبلاغية محددة. يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3]، فيُفهم من الآية أن الجانب اللفظي كان مقصودًا في بيان النص. وقد أكد العلماء أن القرآن خالٍ من الترادف التام، لأن كل لفظة تحمل حمولة معنوية مختلفة، وإن تقاربت الكلمات دلالة. وهذا ما يجعل القرآن معجزًا في ترتيب ألفاظه. يقول الإمام فخر الدين الرازي: "كل لفظة في القرآن واقعة في موقعها عن حكمة بالغة" [الرازي، مفاتيح الغيب، ص: 11.]

إن من أبرز سمات اللفظة القرآنية: الدقة والاقتصاد في العبارة، حيث نجد أن لفظة واحدة تحمل أكثر من معنى بحسب السياق، من ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]، فلفظة "زكاها" تتضمن التطهير والنماء، مما يُبرز خاصية التداخل الدلالي. وهذا ما يُعرف في البلاغة بتعدّد المعنى دون اضطراب في التركيب. وتحدث الزركشي عن هذه الظاهرة قائلاً: "ألفاظه كأنها جواهر مرصوفة في سلك لا يتقدمه ما ينبغي أن يتأخر ولا يتأخر فيه ما ينبغي أن يتقدم" [الزركشي، البرهان، ص: 374].

من أبرز خصائص اللفظة القرآنية كذلك: التناسب الصوتي مع الجو النفسي للنص، حيث تتناغم الأصوات مع المعاني لتُحدث تأثيرًا نفسيًا مباشرًا. ففي قوله تعالى: ﴿فَصُعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الزمر: 68]، نجد أن الحروف الصامتة والحادة تُحدث وقعا صوتيًا يتناسب مع الرهبة. وهذا ما أشار إليه ابن جني في "الخصائص" عند حديثه عن تفاعل الصوت والدلالة. ويُعتبر هذا الجانب أحد وجوه الإعجاز الصوتي للنص القرآني [ابن جني، الخصائص، ص: 55].

أما عن اختيار الكلمات، فنجد أن القرآن يستعمل لفظة "ينبت" بدلًا من "ينمو" للدلالة على إخراج النبات، لأن "النَّبَات" يُفهم ضمنًا من الفعل، بينما "النمو" يُطلق على كل زيادة غير منظورة. قال ابن عاشور في تفسيره: "اختيار الألفاظ القرآنية قائم على مقابلة اللفظ للمعنى المطابق من غير زيادة ولا نقصان" [ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 41]. وهذا يجعل من دراسة اللفظة القرآنية مدخلًا أساسيًا لفهم خصائص النص.

ويُلاحظ كذلك أن الكلمات القرآنية تُحقق مبدأ الإيجاز البلاغي دون الإخلال بالبيان. في قوله: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ [العصر: 2]، نجد أن لفظة "خسر" تختصر معاني متعددة: الفقد، الضياع، الهلاك. وقد عدّها علماء البلاغة من أعظم آيات الإيجاز المعجز. يقول الجاحظ: "ليست في كلام العرب أجمع، شيءٌ هو أبلغ من القرآن، ولا أفصح منه، ولا أكثر فائدة في ألفاظه" [الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 83.]

ويُجدر بنا أن نُشير إلى أنّ ترتيب الكلمات داخل الجمل القرآنية محكوم بنظام لا يقبل التبديل، لأن اللفظة في موقعها تُسهم في بناء النغم والإيقاع والمعنى. ولهذا كانت قراءة القرآن تختلف عن قراءة

أي نص لغوي آخر، لما فيه من توزيع لفظي مقصود. وهو ما جعل الإمام السيوطي يقول: "كل لفظة وضعت موضعها المناسب دون تقديم أو تأخير" [السيوطي، الإتقان، ص: 216].

العبارة القرآنية :

العبارة القرآنية هي الوحدة التركيبية التي تتكون من كلمتين أو أكثر، وتؤدي معنى جزئيًا أو كليًا في النص، وتُعد جسرا بين اللفظة والآية. والعبارة في القرآن تتمتع بمرونة نحوية وبلاغية نادرة، تجمع بين الاختصار والإطناب، وبين الإيجاز والإعجاز. ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: 1-2]، فهذه العبارة تجمع بين الجمال الصوتي، والمشهد التصويري، والدلالة التوكيدية. يقول عبد القاهر الجرجاني: "المعاني لا تقوم إلا في ترتيب الألفاظ، والألفاظ لا تُرتب إلا بنظام النحو والبلاغة" [الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 97].

تُظهر العبارات القرآنية اتساقًا لغويًا داخليًا، بحيث أن كل عبارة ترتبط بسابقتها ولا تنفصل عنها دلاليًا. فمثلًا، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 17]، تتكوّن العبارة من خبر مكوّن من لفظين مترابطين، ووروودهما معًا لا يُعد تكرارًا بل تعميقًا للمعنى. يقول الطاهر ابن عاشور: "العبارات القرآنية مرصوفة على توازن دلالي لا يُمكن أن يُخلّ به الحذف أو الإبدال" [ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 72].

وتتجلّى براعة العبارة القرآنية أيضًا في الحذف والإضمار، كقوله تعالى: ﴿قال رب ارجعون﴾ [المؤمنون: 99]، حيث حُذف جواب القول لأن الموقف لا يحتمل الاستطراد، ما يدل على البلاغة

التقديرية. وفي هذا السياق يقول الزمخشري: "الحذف أبلغ من الإثبات إذا دل عليه السياق" [الزمخشري، الكشاف، ص: 244].

ومن أبرز خصائص العبارة القرآنية أيضًا: ظاهرة التقديم والتأخير، كما في قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: 5]، فقد قدم المفعول به "إياك" لتخصيص العبادة لله وحده، ما يجعل العبارة تحمل دلالة التوحيد المطلق. وقال القرطبي: "هذا التقديم يُفيد الحصر ويُظهر المقصود من العبادة" [القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص: 85].

كما تتميز العبارة القرآنية بالتنويع الأسلوبي، ما بين الجملة الاسمية والفعلية، حسب مقتضى السياق. ففي قوله: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: 255]، نجد التوكيد الاسمي في مستهل الآية، بينما تأتي العبارات الفعلية غالبًا لإفادة الحركة أو التجدد. وذكر الرازي أن "العبارة القرآنية تختار أسلوبها حسب مقتضى الحال البلاغي" [الرازي، مفاتيح الغيب، ص: 122].

وختامًا، يمكن القول إن العبارة القرآنية لا تُفهم إلا في ضوء السياق الكلي للنص، حيث أن كل عبارة تؤدي دورًا في بناء الرسالة الإلهية. ولا يمكن عزلها عن سياقها أو تغيير ترتيبها دون أن يُخل ذلك بالمعنى الكلي. وقد قال السيوطي: "العبارات في القرآن كالخيوط في النسيج، كل واحدة تشد الأخرى" [السيوطي، الإتقان، ص: 250].

الآية القرآنية :

الآية في النص القرآني هي وحدة بيانية وإيقاعية تحمل معنى مستقلاً نسبيًا، وتُعتبر الرابط الأساسي في بناء النص بين العبارات والسور. تعرف الآية عادة بأنها "طائفة من القرآن مفصولة عما

قبلها وما بعدها بفاصلة"، وهي وحدة تُقسَّم إليها السور، وتتميز بالتماسك الداخلي والدلالة المكتملة. قال ابن جني: "الآية مقطوعة معانٍ، لها إيقاع يميزها عن غيرها، فبها تكتمل فكرة أو صورة" [ابن جني، الخصائص، ص: 123].

تتنوع الآيات في طولها واختلاف أشكالها، فمنها القصير جدًا مثل قوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ [القمر: 45]، ومنها الطويلة التي تتناول مسائل فقهية وأخلاقية، كآية الدين ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة: 1]. وهذا التفاوت يضفي على القرآن إيقاعًا متنوعًا وجمالًا في السرد والتعبير. أشار السيوطي إلى أن هذا التنوع يعكس حكمة إلهية في التنظيم الأسلوبي للنص [السيوطي، الإتقان، ص: 143].

كما تتميز الآيات بالتناسب الصوتي الذي يظهر في الفواصل بينها، مثل تكرار "غفور رحيم" أو "عليم حكيم" في نهاية كثير من الآيات، مما يخلق تناغمًا صوتيًا يُعزز من فهم المعنى وتأثيره النفسي. قال عبد القاهر الجرجاني: "الإيقاع في الآية القرآنية جزء من إعجازها، إذ لا تنفصل دلالة اللفظ عن إيقاعه الصوتي" [الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 111].

الآية تتمتع باستقلال معنوي نسبي، إذ يمكن أن تحمل فكرة كاملة أو موقفًا خاصًا، كقوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة: 256]، والتي تؤكد حرية الاعتقاد. والرسول صلى الله عليه وسلم بيّن أن القرآن نزل "على سبعة أحرف" ليُيسر فهم معانيه، ما يدل على تعدد الأساليب في تركيب الآيات [البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: 4752] .

ويشمل مفهوم الآية أيضًا الوظيفة البلاغية التي تُجسدها، إذ تؤدي دورًا محوريًا في التأثير على المتلقي، فهي تحمل دعوة أو تحذيرًا أو بيانًا لحكم أو تصويرًا تصويريًا، يتفاعل معها الإنسان بوجدان وإدراك. قال الجاحظ: "الآيات في القرآن كالألوان في الطبيعة، لا حياة للنص دونها" [الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 142].

أما من الناحية النحوية، فالآية ليست جملة تقليدية فحسب، بل قد تكون تركيبة مركبة تشمل عدة جمل مركبة ومتداخلة، لكن يجمعها الإيقاع والتناسب في العرض، وهي بذلك تجمع بين الاستقلالية والتكامل. وذكر ابن مالك في "الشرح الكبير": "الآيات تُراعي التوازن اللفظي والمعنوي، بما يليق بمقام الوحي" [ابن مالك، الشرح الكبير، ص: 201].

السورة القرآنية :

السورة هي الوحدة النصية الكبرى التي تتألف من آيات مترابطة، وتُعتبر الوحدة الأساسية لتنظيم القرآن الكريم. يبدأ معظمها بالبسم الله الرحمن الرحيم، ما عدا سورة التوبة، وتنتهي بفاصل بين موضوعين أو بنهاية متماسكة. وتختلف السور في الطول والمحتوى، فمنها ما هو مكي ومنها مدني، ومنها ما هو قصير كـ"الكوثر"، ومنها ما هو طويل كـ"البقرة". قال الإمام الطبري: "السورة وحدة معنية تحكمها فكرة مركزية، تُجمع حولها الآيات" [الطبري، جامع البيان، ص: 66].

السمات البلاغية للسورة تظهر في افتتاحياتها التي تكون أحيانًا من أعظم مقاطع القرآن، كقوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: 2]، أو مقاطع غامضة كـ"المر" في سورة الكهف.

الافتتاحية تمهد الموضوع وتثير انتباه المتلقي. قال الزمخشري: "بداية السورة كالفاتحة على كل بيت، بها يتعرف السامع على مسار النص" [الزمخشري، الكشاف، ص: 399].

أما خواتيم السور فهي غالبًا ما تكون قوية وحاسمة، كقوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: 99]، مما يعزز التأثير النفسي ويدعو إلى الاستمرارية في الطاعة. وتتميز بعض السور ببنية دائرية أو تكرارية تعيد نفس الموضوع أو تتوسع فيه بتدرج، مما يزيد من عمق المعنى واستيعابه. قال الجرجاني: "البنية الدائرية للسورة تدل على حكمة إلهية في صياغة النص لا تُدركها العقول السوية إلا بالوحي" [الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 176].

تصنيف السور إلى مكية ومدنية يعتمد على زمن النزول ومكانه، وهو ذو دلالة على مراحل التشريع والتوجيه الديني والاجتماعي، حيث كانت السور المكية تركز على التوحيد والقيامة، بينما المدينة تعنى بالتشريع وتنظيم المجتمع. يقول ابن عاشور: "تصنيف السور يعكس تطور الخطاب القرآني وتنوع مخاطبيه" [ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 230].

كما أن السورة القرآنية تتميز بترابط آياتها بشكل يجعل كل جزء يكمّل الآخر في البناء الدلالي، فلا يمكن فهم أي آية بمعزل عن بقية الآيات، وهو ما يجعل دراسة السور ضرورة لفهم النص كاملًا. قال الإمام السيوطي: "كل سورة تكتب وحدتها، وكل آية فيها متصلة لما قبلها وما بعدها، فكيف يتم ذلك إلا بمعجزة؟" [السيوطي، الإتقان، ص: 301].

في الختام، تُعد السورة بمثابة الكيان النصي الذي يجمع كل المكونات اللغوية والبيانية في وحدة متماسكة، تحمل رسالة متكاملة تُسهم في توجيه الإنسان إلى معانٍ روحية وأخلاقية وحياتية.

التكامل بين مكونات النص القرآني :

لا تعمل مكونات النص القرآني – اللفظة، العبارة، الآية، السورة – بشكل منعزل، بل هي أجزاء مترابطة تكمل بعضها بعضًا لتكوين خطاب إلهي متماسك. فاللفظة هي أساس المعنى، والعبارة تبني المعنى الجزئي، والآية تشكل وحدة ذات معنى مستقل، والسورة تجمع كل ذلك في رسالة كاملة. يقول الإمام السيوطي: "القرآن مؤلف من سور، وكل سورة مؤلفة من آيات، وكل آية مؤلفة من كلمات، وكل كلمة مؤلفة من حروف... وكل ذلك مقصود بحكمته، منظوم بعلمه" [السيوطي، الإتقان، ص: 58] .

إن هذا التكامل يظهر في التناغم بين المعاني والأصوات، حيث أن اختيار الكلمات وترتيب العبارات يُنتج تأثيرًا نفسيًا وروحيًا يتجاوز حدود اللغة العادية. يقول الشيخ الطنطاوي: "التناسق في النص القرآني هو دليل على صدق الوحي، فليس في كلام البشر مثل هذا التناغم" [الطنطاوي، في ظلال القرآن، ص: 103].

علاوة على ذلك، فإن هذا التكامل ينعكس في استمرارية موضوعات السورة التي لا تتشتت بين آياتها، بل تُجمع لتخدم غرضًا واحدًا، سواء كان تشريعيًا أو دعويًا أو أخلاقيًا. ومن الأمثلة على ذلك سورة الفاتحة التي تُعتبر ملخصًا للقرآن في مفرداتها وترتيبها. قال ابن القيم: "الفاتحة جامعة لكل العلوم الشرعية في كلمات يسيرة" [ابن القيم، مدارج السالكين، ص: 44].

كما أن القرآن يستخدم التكرار المدروس عبر مكوناته لتعزيز الرسائل الأساسية، ويظهر هذا في الكلمات المتكررة عبر السور والآيات، ما يُساعد على تثبيت المعاني في ذهن السامع. قال الجاحظ:

"التكرار في القرآن له وظيفة بيانية عظيمة، تُعلي من قيمة الكلام وتُبرز معناه" [الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 150].

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا التكامل فقال: "إن القرآن يرفع ويخفض، ولا يُرفع شيء إلا رفعه الله، ولا يُخفض شيء إلا خفضه الله" [مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم: 804]. وهذا يعكس التكامل اللغوي والروحي في النص.

في المجمل، يُعتبر فهم هذا التكامل هو الخطوة الأساسية لتدبر القرآن والوقوف على معجزته البيانية واللغوية.

الخاتمة :

لقد وقفنا في هذه المحاضرة عند مكونات النص القرآني الأساسية: اللفظة، العبارة، الآية، والسورة، حيث تناولنا كل مكون بمفرده من حيث التعريف، الخصائص، والوظائف البلاغية والدلالية، مع دعم ذلك بآيات قرآنية وأقوال العلماء. تبين أن النص القرآني ليس مجرد تراكم كلمات وجمل، بل هو نظام إلهي متكامل، كل عنصر فيه يتفاعل مع الآخر ليُنتج خطابًا معجزًا في لغته، معانيه، وتركيبه. فالنظر إلى اللفظة يُظهر دقة الاختيار وعمق الدلالة، والعبارة تبيّن كيف تتماسك الكلمات في جمل ذات وظائف متعددة، والآية تؤكد الوحدة البيانية والإيقاعية، أما السورة فهي وحدة النص الكبرى التي تضم كل ذلك في سياق موضوعي متماسك. والتكامل بين هذه المكونات هو ما يجعل القرآن نصًا لا يُضاهى في إعجازه.

ففهم هذه المكونات هو المدخل العلمي السليم لتدبر القرآن الكريم، والتأمل في إعجازه اللغوي، وما فيه من حكمة لا تنفد. وهذا ما يدفعنا إلى الاقتداء بقوله تعالى: ﴿فَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ﴾ [الزمر: 9].

والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع

1. ابن جني، الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
2. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الفكر، دمشق، 2005.
3. الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.
4. ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984.
5. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
6. الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر، دمشق، 2002.
7. الإمام الطبري، جامع البيان، دار الفكر، بيروت، 1997.
8. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
9. الرازي، مفاتيح الغيب.

المحاضرة 05 : القصة القرآنية، خصائصها ، أهدافها.

مفهوم القصة القرآنية :

تعتبر القصة القرآنية من أبرز الأركان البلاغية التي تم توظيفها في القرآن الكريم بأسلوب فريد يجمع بين الحكمة والبلاغة، يخاطب العقل والوجدان معًا. في اللغة، تعني القصة تتبع الأثر، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فارتدا على آثارهما قصصًا﴾ [الكهف: 64]، وهي بذلك تعني تتبع أثر حادثة أو حدث بهدف التعلم والعبرة. اصطلاحًا، القصة القرآنية هي نقل خبر أو واقعة بأسلوب حكائي يهدف إلى العبرة والتعليم، وليس للترفيه أو التسلية كما في القصص الأدبية. يميزها كونها وحيًا إلهيًا ينقل الحقائق ويزرع القيم، يقول الله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ [يوسف: 3]، موضحًا أن طريقة السرد هي الأفضل لتأثيرها في النفس والعقل. تعكس القصة القرآنية أيضًا عنصر التوجيه، حيث تهدف إلى بناء الإنسان الروحي والأخلاقي عبر الاستفادة من حوادث تاريخية أو رمزية. في هذا الإطار، يشير عبد القاهر الجرجاني إلى أن القصة القرآنية تجمع بين الإخبار والإفهام بطريقة تجعل السامع أو القارئ يتأمل ويتفاعل ويستفيد [الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 87]. ومن هنا تظهر القصة في القرآن كأداة مركزية في إيصال الرسائل الإلهية التي تشمل التوحيد، النبوة، الحساب، والسلوك.

كما تختلف القصة القرآنية عن القصة الأدبية في كونها لا تخضع للخيال الإنساني، بل هي واقع واقعة، مصداقها التاريخي أو الرمزي قائم على الوحي والحق، وهو ما يجعلها مصدرًا للهداية والأخلاق، لا مجرد متعة أو إشباع فني. يضيف الإمام ابن القيم أن القصة القرآنية هي "وسيلة تربوية تُزود بها النفوس بالعبر والحكم، فلا تقبل النقد ولا التجريح، لأنها منزلة من عند الله" [ابن القيم، مدارج السالكين، ص: 113]. ويبرز أيضًا أن القصة القرآنية لا تكتفي بسرد الحدث، بل تعمد إلى بناء دروس حياتية وروحية عميقة تصلح لكل زمان ومكان.

يتجلى هذا المفهوم أيضًا في التنوع الكبير لأنواع القصص التي أوردها القرآن، ما بين قصص أنبياء وأمم، وأحداث رمزية وإنسانية، مما يدل على غنى وفائدة هذا الأسلوب في الحوار مع الإنسان. فكل قصة تختزن دروسًا تتعلق بالعقيدة والسلوك والعبادة، إضافة إلى جوانب الحذر من الكفر والطغيان، كما هو ظاهر في قصص عاد وثمود وغيرهما. هذه المعاني جعلت من القصة القرآنية أداة فعالة في الدعوة والتربية. ولذلك أكد القرآن على قيمة القصة في تثبيت القلوب وتعليم الأمم، وقال تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ [هود: 120.]

من الناحية البلاغية، تعتبر القصة القرآنية نموذجًا متكاملاً يجمع بين المتعة الفكرية والتوجيه الروحي، حيث تستخدم الأساليب السردية المختلفة كالتكرار الفني، التشويق، والتصوير الحي للحوادث، لتوصيل الرسائل بشكل يؤثر في النفس والعقل. هذا ما يجعل دراسة القصة القرآنية من أهم علوم القرآن وأدوات التفسير. كما يوضح الشيخ محمد الطنطاوي: "القصة القرآنية ليست مجرد

سرد تاريخي، بل خطاب حي يؤثر في الذات، ويدعو إلى التحول والوعي" [الطنطاوي، في ظلال القرآن، ص: 158].

أنواع القصص القرآني :

تنقسم القصص القرآني إلى عدة أنواع، كل نوع يحمل هدفًا ورسالة محددة، وهو ما يعكس حكمة القرآن في اختيار المواضيع والأساليب. أول هذه الأنواع هو قصص الأنبياء، مثل قصص نوح، إبراهيم، موسى، وعيسى عليهم السلام. هذه القصص تركز على العقيدة، والرسالة، وتبرز الصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر. من خلال هذه القصص، يُبين القرآن صفات الأنبياء وأخلاقهم وكيفية تعاملهم مع التحديات، وهو ما يعزز الإيمان ويثبت القلوب، كما قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: 111].

النوع الثاني هو قصص الأمم السابقة، مثل عاد وثمود وأصحاب مدين، التي تحكي عن مصير الأمم التي كذبت رسلها وطغت على الأرض، مع بيان عاقبة الكفر والطغيان، وتحذير للأمم اللاحقة. هذه القصص تهدف إلى العظة والاعتبار، حيث تعرض الأحداث بشكل مختصر ومركز. يقول الله تعالى: ﴿فكذبوا رسلهم فأنزلنا عليهم عذابًا شديدًا﴾ [الأعراف: 94] .

ثالثًا، هناك قصص شخصيات معينة مثل قصة يوسف عليه السلام، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، وهي تتميز بعمق نفسي وإنساني كبير، حيث تعكس الصراعات الداخلية، والابتلاءات، والتطور الروحي، وهذا يربط المستمع بالقصة على مستوى شخصي ويحرك فيه العواطف والأفكار. قال تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ [يوسف: 3] .

رابعًا، القصص الرمزية أو التمثيلية، وهي قليلة لكنها ذات أهمية كبيرة، مثل قصة ابني آدم في سورة المائدة التي تعبر عن الصراع بين الخير والشر داخل الإنسان والمجتمع، وتبرز القيم الأخلاقية والعدالة. هذا النوع يُظهر الوجه الروحي والرمزي للنص القرآني، ويوصل معانٍ أعمق تتجاوز الحكاية الظاهرية.

تتسم هذه الأنواع جميعًا بأنها ليست مجرد حكايات، بل رسائل موجهة للقارئ أو السامع، تعكس مرونة الأسلوب القرآني في مخاطبة مختلف المستويات، من العقيدة إلى السلوك، ومن التاريخ إلى الرمز. وفي الحديث الشريف قال النبي صلى الله عليه وسلم: "القرآن شافع مشفع، وكل سورة فيها حكمة ونور" [مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم: 804].

وقد أكد بعض العلماء أن التنوع في أنواع القصة يعكس مقاصد القرآن الشاملة في الهداية، بحيث يختار الأسلوب والموضوع المناسبين للموقف والهدف. يقول ابن القيم: "القصص في القرآن لهو منارة تهدي العقول والقلوب، وتأخذ بأيدي الناس نحو الرشد" [ابن القيم، مدارج السالكين، ص: 115].

خصائص القصة القرآنية :

تتميز القصة القرآنية بعدة خصائص جوهرية تجعلها فريدة بين القصص في الأدب البشري. أولها الصدق المطلق، فالقصة في القرآن هي وحي إلهي لا يحتمل الكذب أو المبالغة، وهذا ما يجعلها موثوقة ومصدرًا للتوجيه العقلي والروحي. قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله حديثًا﴾ [النساء: 87]. هذا الصدق يُميز القصة القرآنية ويجعلها أساسًا للتعليم والتربية.

ثانيًا، التركيز على العبرة والهدف التربوي، فلا تُسرد التفاصيل التي لا تخدم الغاية، بل يتم حذفها والتركيز على المواقف التي تحمل العظة والدرس. مثال ذلك قصة موسى عليه السلام التي تكررت في مواضع متعددة، كل مرة تُبرز جانبًا مختلفًا دون الحاجة لسرد كامل للحادثة. قال الإمام الطبري: "القرآن يختصر في القصص ما يكفي لتعليم القيم، ويترك الباقي لخيال القارئ" [الطبري، جامع البيان، ص: 99] .

ثالثًا، التكرار الفني الهادف، حيث تكرر القصة بأساليب متعددة لتوضيح النقاط المختلفة وتحقيق أهداف مختلفة، كما في قصة آدم وإبليس التي وردت في عدة سور (البقرة، الأعراف، الحجر، ص)، مما يعزز الحفظ والفهم العميق. قال ابن جني: "التكرار في القرآن ليس عيبًا، بل هو وسيلة بيانية لتثبيت المعاني" [ابن جني، الخصائص، ص: 87].

رابعًا، الأسلوب البلاغي المعجز، حيث تستخدم القصة صورًا بلاغية وحوارات حية وتصويرًا صوتيًا وبصريًا قويًا، مثل وصف السفينة في قصة نوح: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ [القمر: 13]، مما يجعل القصة تنبض بالحياة وتؤثر في القارئ أو السامع.

خامسًا، المرونة في الزمان والمكان، فالقرآن لا يلتزم بالسرد المتسلسل الزمني، بل يركز على المواقف والعبر، فتجد القصة تقفز بين زمن وآخر حسب الحاجة لبيان العظة أو الحكم، وهذا يعكس حكمة إلهية في توظيف السرد. يقول السيوطي: "القرآن يستخدم التداخل الزمني ليصلح لكل زمان ومكان" [السيوطي، الإتقان، ص: 210] .

سادسًا، القصة القرآنية تجمع بين الواقعية والرمزية، فهي تحكي أحداثًا واقعية وأخرى رمزية تمثل معانٍ روحية وأخلاقية، وهذا ما يجعلها نصًا متعدد الأوجه، قادرًا على مخاطبة الإنسان في كل حالاته ومستوياته. قال ابن عباس رضي الله عنه: "ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وحكم ومثل، وقصة وعبرة" [ابن عباس، تفسير القرآن، ص: 45].

أهداف القصة القرآنية :

تحمل القصة القرآنية أهدافًا تربوية، عقائدية، دعوية شاملة، تترابط في بناء شخصية الإنسان المؤمن، وتعزيز رسالته في الحياة. الهدف الأول والأسمى هو تثبيت قلب النبي محمد ﷺ، الذي كان معرضًا للشكوك والاضطرابات النفسية نتيجة دعوته، حيث يقول تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ [هود: 120]. من خلال سرد قصص الرسل والأنبياء السابقين، يتلقى النبي تأكيدًا على صدق رسالته وثباته في الدعوة.

ثانيًا، التربية والتعليم، فالقصة القرآنية لا تكتفي بسرد الأحداث، بل تزود النفس البشرية بمهارات الصبر، التوكل على الله، الثبات على الحق، والتعامل مع الابتلاءات، كما هو واضح في قصة أيوب عليه السلام وصبره الطويل ﴿وايوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: 83]. القصص تشكل بذلك وسائل تعليمية تربوية حية.

ثالثًا، العظة والاعتبار للأمم والأفراد، فالقصص تعرض مصائر الأمم السابقة سواء كانوا مؤمنين أو كفارًا، ويجعل منها القرآن عبرة حية لأولي الألباب: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾

[يوسف: 111]. هذه العبرة هدفها تحذير الأمم من تكرار أخطاء السابقين، والدعوة إلى التوبة والرجوع إلى الله.

رابعًا، تثبيت العقيدة الإسلامية، فالقصص تبرز مفاهيم التوحيد، النبوة، الحساب، والجزاء، كما تظهر عدل الله وحكمته في تدبير الأمور، وحق الألوهية له وحده، كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه التي تبين تحدي الكفر والإيمان ﴿فجاءته النار فقال يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم﴾ [الأنبياء: 69].

خامسًا، بيان سنن الله في الأمم، فالأحداث المروية في القصص تظهر قانون الجزاء والعقاب، فالعاقبة للمتقين، والنصر للمؤمنين، والهلاك للكافرين الظالمين، وهذا ما يجعل القصص تحفز الإنسان على اتباع السلوك الصالح والتقوى، كما في قصة فرعون وموسى عليهما السلام.

سادسًا، الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، إذ تحفز القصص على تجديد التوبة والرجوع إلى الله، وتذكر الإنسان بعظمة الله وقدرته، مما يؤدي إلى تصحيح المسار الروحي والسلوكي للفرد والمجتمع. في الحديث الشريف قال النبي ﷺ: "إن مثل القرآن مثل الغصن الأخضر، إن اقتلعته لا ينمو، وإن ثبتته ينمو ويثمر" [البخاري، صحيحه، حديث رقم: 4987]، والقصص من تلك الأغصان التي تغذي الروح.

البناء الفني للقصة القرآنية :

البناء الفني للقصة القرآنية يتسم بعدة عناصر تجعلها نموذجًا فريدًا في التعبير القرآني. أول هذه العناصر هو بداية القصة بحدث جذري أو أمر إلهي مباشر، مثل دعوة نوح عليه السلام لقومه أو أمر الله لإبراهيم بالتخلي عن الأصنام، وهذا الأسلوب يجذب الانتباه من البداية ويحدد الهدف.

ثانيًا، توظيف التصوير الحي والمشاهد الواضحة، حيث تستخدم القصة أوصافًا بصرية وصوتية تؤدي إلى تصوير المشهد بأبعاد متعددة، كما في وصف سفينة نوح: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ [القمر: 13]، وهذا يجعل القصة ملموسة وقريبة إلى عقل المستمع.

ثالثًا، الحوارات المكثفة والديناميكية، والتي تنقل مشاعر الشخصيات وأفكارها بشكل مباشر، مثل حوار إبراهيم مع أبيه ﴿قال يا أبت أفلك تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ [مريم: 42]، فهذه الحوارات تعطي القصة بعدًا إنسانيًا وواقعيًا.

رابعًا، النهاية التي تحمل حكمًا أو عبرة واضحة، فهي ليست مجرد اختتام للأحداث، بل استنتاج ودعوة للتفكر والتأمل، كما في نهاية قصة أصحاب الكهف التي تدعو إلى الثبات على الإيمان والاعتماد على الله ﴿ونقص عليك من قصة أصحاب الكهف آياتهم﴾ [الكهف: 13.[

خامسًا، البناء غير الخطي أحيانًا، حيث لا تلتزم القصة بالسرد الزمني المتتابع، بل تنتقل بين الأحداث والمواقف لتسليط الضوء على العبرة، وهذا يضيف ديناميكية للنص ويحث القارئ على التفكير والتدبر.

سادسًا، الاعتماد على الأسلوب البلاغي والفني، باستخدام الصور البيانية، الاستعارات، التكرار الهادف، والجناس، مما يضفي جمالًا خاصًا ويزيد من وقع القصة في النفس والعقل. يقول الجرجاني: "القصص القرآني معجزة بلاغية تذيب القلوب وتربط النفوس بالله" [الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 95] .

الخاتمة :

إن القصة القرآنية ليست مجرد سرد للحوادث والأحداث، بل هي بناء متكامل يحمل في طياته رسالة تربوية وعقائدية عميقة، تدمج بين الواقعية والتجريد، بين التاريخ والعبرة، بأسلوب فني بلاغي معجز. فقد قال ابن عباس رضي الله عنه: "ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وحكم ومثل، وقصة وعبرة"، مؤكدًا أن كل قصة في القرآن تحمل أكثر من مستوى من المعاني والدروس. وتظل القصة القرآنية أداة قوية في التربية الروحية، وبناء الشخصية الإسلامية المتزنة التي تستمد منها العبر وتنير دربها بنور الله. نسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

1. عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز في القرآن الكريم*، دار الفكر، بيروت، 2001
2. ابن القيم الجوزية، *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997
3. الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1995

4. ابن جني، *الخصائص*، مكتبة لبنان، بيروت، 2003

5. السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989

6. ابن عباس، *تفسير القرآن العظيم*، دار الفكر، دمشق، 1998

7. محمد الطنطاوي، *في ظلال القرآن*، دار المعارف، القاهرة، 1986

8. البخاري، *صحيح البخاري*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994

9. مسلم، *صحيح مسلم*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995

المحاضرة 06 : سياقات النص القرآني.

مقدمة :

تعتبر دراسة سياقات النص القرآني من أهم مفاتيح فهم معانيه ودلالاته، إذ لا يتمكن الباحث أو القارئ من إدراك النصوص القرآنية بدقة إلا إذا وضعها في إطارها السياقي، الذي يشمل ظروف النزول، والبيئة الاجتماعية، والزمنية، والمكانية. لذلك تبرز مفاهيم **السياق السببي** و**السياق المكاني** كمنهجين ضروريين لفهم المعاني، وتفسير الآيات بما يتناسب مع واقع الدعوة ونشأة الإسلام.

القسم الأول: السياق السببي – أسباب النزول .

أ– تعريف أسباب النزول

- أسباب النزول مصطلح يدل على **الظروف أو الأحداث التي نزلت الآية في شأنها**، سواء كانت مناسبة لسؤال، حادثة، أو موقف معين.
- هي حوادث وقعت في حياة النبي محمد ﷺ أو أصحابه، واستجابت لها آيات من القرآن.
- قال الإمام الطبري في تفسيره:

"وأسباب النزول هي الأشياء التي نزل فيها القرآن وتعلقت بها الآيات".

ب– أهمية دراسة أسباب النزول

- توضيح معاني الآيات وتحديد مرادها.

- تفصيل الأحكام الشرعية وربطها بسياقاتها الواقعية.
- تصحيح التفسيرات الخاطئة التي قد تنشأ من القراءة المنعزلة للنص.
- بيان حكمة التشريع الرباني وتدبيره للوقائع الاجتماعية.

ج– مصادر معرفة أسباب النزول :

1. **الحديث النبوي:**
   - ما ورد عن النبي ﷺ مباشرة في شأن آية معينة.
   - مثال: حديث جابر بن عبد الله عن سورة الكافرون نزلت ردًا على المشركين.
2. **أقوال الصحابة والتابعين:**
   - نقل عن ابن عباس، عبد الله بن مسعود وغيرهم، حيث رووا أسباب نزول آيات محددة.
3. **كتب أسباب النزول المعتمدة:**
   - مثل "أسباب النزول" للقرطبي، "نزول القرآن" للسيوطي، و"الدر المنثور" للزمخشري.

د– أنواع أسباب النزول

1. **الأسئلة والاستفسارات:**
   - مثل سؤال أهل الكتاب للنبي ﷺ عن الطلاق أو المواريث، فأنزل الله آيات تفصيلية.
2. **الحوادث الواقعية:**
   - مثل قصة الإفك، أو حادثة الإسراء والمعراج، أو قصة أصحاب الأخدود.

3. **الأحداث التاريخية:**

- نزول آيات بعد غزوات أو معارك مثل بدر وأحد.

4. **الأوامر والنواهي:**

- أمور تشريعية تتعلق بالعبادات أو المعاملات.

هـ- أمثلة على أسباب النزول وأثرها في التفسير

- **آية المودة:**
- قال ابن عباس: "نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه."

[سورة الشورى: 23] .

- **آية المواريث:**

نزلت رداً على سؤال من الصحابة عن تقسيم الميراث.

[سورة النساء: 11] .

- **آية الرجم:**

نزلت بسبب حادثة زنا في زمن النبي ﷺ، بعد ثبوت الأمر بأربعة شهداء.

(رغم أن الرجم لم يذكر في القرآن صراحة، لكنه من السنة مدعومًا بأسباب نزولها).

و- النقد والمنهج العلمي في التعامل مع أسباب النزول

- **التحقق من الروايات:**

يجب التثبت من صحة الأحاديث والأقوال المتعلقة بأسباب النزول.

- **التدرج في قبول الأقوال:**

بعض الأسباب تأكدت بأحاديث صحيحة، وبعضها ضعيف أو موضوع.

- **الموازنة مع النص القرآني نفسه:**

فلا يجوز أن يفسر النص بناءً على سبب نزول ضعيف أو غير مؤكد.

القسم الثاني: السياق المكاني – المكي والمدني

أ– تعريف التصنيف المكّي والمدني

- **المكي** :كل ما نزل قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، سواء في مكة نفسها أو في محيطها.
- **المدني** :ما نزل بعد الهجرة في المدينة، أو في الأوساط الإسلامية الجديدة.

ب– أهمية التصنيف المكّي والمدني

- يعكس مراحل الدعوة الإسلامية وتطورها، مما يؤثر في مضمون النص وأهدافه.
- يساعد في فهم الرسائل القرآنية وفقًا للظروف الاجتماعية والسياسية في كل مرحلة.

ج– السمات اللغوية والموضوعية للآيات المكية والمدنية

الصفة	المدني	المكي
الطول	غالبًا أطول	غالبًا قصير
الموضوعات الأساسية	التشريع، الأحكام، المعاملات	التوحيد، البعث، العقيدة، قصص الأنبياء

الصفة	المدني	المكي
اللغة والأسلوب	أسلوب تشريعي، تفصيلات فقهية	بلاغة عالية، صور بلاغية، إيقاع قوي
الجمهور	المسلمون في المدينة، مجتمع إسلامي	مشركو مكة، أناس لم يؤمنوا بعد

د- أمثلة على آيات مكية ومدنية

- **آية مكية:**

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: 7].

تتحدث عن التوحيد والرسل، أسلوب موجز وبلاغة عالية.

- **آية مدنية:**

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

تأمر بالوحدة والطاعة، مع توجيهات تشريعية.

هـ- الخلفيات الاجتماعية والسياسية للمرحلتين

- **المرحلة المكية:**
  - الدعوة سرية أو محدودة، مجتمع مشرك معادٍ للإسلام.
  - التركيز على بناء العقيدة، مواجهة الشرك، ودعوة للتوحيد.
  - استخدام لغة حسية، وأمثال، وقصص لرفع الهمم.
- **المرحلة المدنية:**

- بناء دولة إسلامية، تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية.
- إصدار الأحكام، تنظيم العبادات والمعاملات.
- تعليم المسلمين طريقة الحياة الجديدة.

و- أثر التصنيف على التفسير والتأويل

- بعض الآيات المكية تحمل دلالات عامة وعقائدية، وأحيانًا تظهر غموضًا لتتضح في المدنية.
- بعض الأحكام التشريعية لا تظهر إلا في المدنية بعد توفر الظروف الاجتماعية.
- يجب على المفسر مراعاة السياق المكاني والزماني لفهم النص جيدًا.

سياقات النص القرآني :

تُعد دراسة السياقات التي نزل فيها النص القرآني من أهم مفاتيح الفهم والتفسير العلمي للنص القرآني الكريم، إذ لا يُمكن فهم معاني الآيات ودلالاتها الحقيقية إلا بوضعها في إطارها الكامل الذي يشمل أسباب النزول والبيئة الاجتماعية والزمنية والمكانية التي نزل فيها النص. فالسياق السببي أو أسباب النزول، والسياق المكاني سواء في مكة أو المدينة، يُعدان من أهم المناهج التي يعتمد عليها العلماء والمفسرون لفهم النصوص بدقة، وربطها بواقع الدعوة الإسلامية وتطورها التاريخي والاجتماعي. في هذه المحاضرة، سنتناول هذين السياقين بشكل مفصل، مع الاستشهاد بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ومدونات كبار المفسرين والعلماء.

السياق السببي: أسباب النزول .

تعني أسباب النزول الظروف والأحداث التي نزلت في شأنها الآيات القرآنية، وتشكل فهمًا ضروريًا لمعاني النصوص وتفسيرها الصحيح. فعلى سبيل المثال، يُشير الإمام الطبري في تفسيره إلى أن أسباب النزول هي "الأشياء التي نزل فيها القرآن وتعلقت بها الآيات" (الطبري، جامع البيان، ص: 75). وهي أحداث وحوادث وقعت في حياة النبي ﷺ أو أصحابه، واستُجيب لها بالوحي الإلهي.

تنبع أهمية دراسة أسباب النزول من كونها توضح معاني الآيات وتحدد مرادها الحقيقي، كما تساعد على تفصيل الأحكام الشرعية في إطارها الواقعي، مما يصحح التفسيرات التي قد تنشأ من القراءة المعزولة للنصوص. فكما يقول ابن القيم في كتابه "مدارج السالكين": "معرفة سبب النزول من أهم أسباب معرفة الحكمة من التشريع وعمومه" (ابن القيم، مدارج السالكين، ص: 120) .

تُستقى أسباب النزول من عدة مصادر: الحديث النبوي الشريف، مثل حديث جابر بن عبد الله في شأن سورة الكافرون التي نزلت ردًا على المشركين؛ وأقوال الصحابة والتابعين كابن عباس وعبد الله بن مسعود؛ وكتب أسباب النزول المعتمدة كـ "أسباب النزول" للقرطبي، و"الدر المنثور" للزمخشري، و"نزول القرآن" للسيوطي.

تنقسم أسباب النزول إلى أنواع عدة، منها الأسئلة والاستفسارات، كآيات الطلاق والميراث التي نزلت ردًا على أسئلة الصحابة، والحوادث الواقعية مثل حادثة الإفك، والأحداث التاريخية كغزوات بدر وأحد التي نزلت فيها آيات توجيهية، بالإضافة إلى الأوامر والنواهي التشريعية المتعلقة بالعبادات والمعاملات.

كمثال، نزلت آية المودة التي يقول ابن عباس: "نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه" (سورة الشورى: 23)، وذكر القرآن آيات المواريث كرد على سؤال الصحابة (النساء: 11). أما آية الرجم فهي من السنة، استنادًا لأسباب النزول المتعلقة بحادثة الزنا المؤكدة بأربعة شهداء.

في التعامل مع أسباب النزول، يجب اعتماد منهج نقدي علمي، يتحقق من صحة الروايات، ويوازن بين الأقوال المختلفة، فلا يجوز اعتماد سبب نزول ضعيف أو غير مؤكد لتفسير النص القرآني. قال السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن": "لا يعتمد في التفسير إلا ما ثبت بالتواتر أو عن طرق صحيحة" (السيوطي، الإتقان، ص: 210) .

السياق المكاني: المكي والمدني .

يُشير التصنيف المكّي والمدني إلى مكان وزمان نزول الآيات، حيث يُقسم القرآن إلى آيات نزلت قبل الهجرة (المكية) وآيات نزلت بعد الهجرة (المدنية). فالمكي هو كل ما نزل في مكة أو محيطها قبل الهجرة، أما المدني فهو ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في الأوساط الإسلامية الجديدة.

تُعتبر أهمية هذا التصنيف في أنه يعكس مراحل تطور الدعوة الإسلامية، ويتضح من خلاله اختلاف مضمون الرسائل القرآنية وأهدافها حسب الظروف الاجتماعية والسياسية لكل مرحلة. يقول محمد الطنطاوي في تفسيره "في ظلال القرآن": "إن المكي يركز على العقيدة والتوحيد، بينما المدني يهتم بالتشريع والتنظيم الاجتماعي" (الطنطاوي، في ظلال القرآن، ص: 34).

تختلف الآيات المكية والمدنية من حيث السمات اللغوية والموضوعية. فالآيات المكية غالبًا ما تكون قصيرة، تتناول موضوعات التوحيد والبعث والرسالة، وتتميز ببلاغة عالية وإيقاع قوي، وتخاطب

مشركي مكة وغير المؤمنين. أما الآيات المدنية فهي غالبًا أطول، تتناول التشريعات، الأحكام، المعاملات، وتخاطب المجتمع الإسلامي في المدينة.

مثال على آية مكية:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: 7]، تتحدث عن التوحيد والرسل بأسلوب موجز وبلاغة عالية.

ومثال على آية مدنية:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]، تأمر بالوحدة والطاعة مع توجيهات تشريعية.

تتأثر الخلفيات الاجتماعية والسياسية في كل مرحلة بوضوح، ففي المرحلة المكية كانت الدعوة سرية أو محدودة في مجتمع مشرك معادي، فكانت الآيات تركز على بناء العقيدة، مواجهة الشرك، واستخدام لغة حسية وقصص لرفع الهمم. بينما في المرحلة المدنية كانت الدعوة تتجه إلى بناء الدولة الإسلامية، وتنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية، وإصدار الأحكام الشرعية.

يؤثر التصنيف المكاني أيضًا في التفسير والتأويل، حيث تحمل الآيات المكية دلالات عامة وعقائدية، وأحيانًا يظهر فيها الغموض الذي يتضح في المدنية، وأحكام التشريع لا تظهر إلا في المرحلة المدنية. ولذلك يؤكد العلماء ضرورة مراعاة السياق المكاني والزماني لفهم النص بشكل صحيح.

قائمة المصادر والمراجع

1. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1995
2. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997
3. القرطبي، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998
4. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989
5. الزمخشري، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999
6. الطنطاوي، في ظلال القرآن، دار المعارف، القاهرة، 1986
7. البخاري، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994
8. مسلم، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995

المحاضرة 07 : السياق التراتبي: أول وآخر ما نزل ، الناسخ والمنسوخ

أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم

تعد معرفة أول وآخر ما نزل من القرآن من الموضوعات الأساسية في علوم القرآن التي تسهم في فهم السياق التراتبي للنص القرآني، وهي تساعد الباحثين في إدراك التدرج الزمني لنزول الوحي. أول ما نزل من القرآن هو بداية الوحي الذي تلقاه النبي محمد ﷺ في غار حراء، وقد ثبت عند جمهور العلماء أن أول الآيات التي نزلت كانت من سورة العلق، التي بدأت بأمر القراءة:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: 1).

تُبرز هذه الآيات بداية الدعوة إلى العلم والتعلم، وتأكيدًا على توحيد الله تعالى. أما في آخر ما نزل من القرآن، فقد اختلف العلماء في تحديده، فمنهم من قال إنها آية:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ (المائدة: 3).

وهذا القول هو الأكثر انتشارًا، إذ يشير إلى إتمام التشريع وبلوغ الرسالة الكاملة قبل وفاة النبي ﷺ. وللفهم الصحيح، يجدر بالمفسر أن يأخذ بعين الاعتبار هذه البداية والنهاية لتبيان تطور الخطاب القرآني وتكيف التشريع مع الظروف المتغيرة في حياة المسلمين الأوائل.

وقد ورد في الحديث الشريف ما يؤكد هذه الوقائع، قال النبي ﷺ: «بدأ الوحي بالآيات من سورة العلق»، وهو تأكيد لمنهجية نزول القرآن تدريجيًا للحكمة والتدريب.

هذه المعرفة تتيح رؤية واضحة للتطور الزمني والتشريعي، وتوضح أن القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة، بل موزع حسب حكمة إلهية.

علاوة على ذلك، فإن التدرج في النزول يدعم فكرة المرونة في التشريع الإسلامي، وتكييفه مع الواقع المتغير، وهو ما يحتاج إليه كل باحث جاد في علوم القرآن والحديث.

[محمد فؤاد عبد الباقي، علوم القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص: 48-52].

أول ما نزل من القرآن: التأويل والدلالات .

ترتبط بداية الوحي بآيات سورة العلق التي تدعو إلى القراءة باسم الله، وهو ما يؤكد أهمية العلم كمنهج في الإسلام. تدعو هذه الآيات إلى إدراك علاقة الإنسان بخالقه، وتحث على التعلم المستمر والاعتماد على الوحي كمصدر للحقيقة.

وقد أكد العلماء أن هذا الترتيب التدريجي هو أحد أسرار نزول القرآن، إذ يبدأ بالدعوة إلى المعرفة ثم ينتقل إلى مواضيع العقيدة، فالأحكام التشريعية لاحقًا.

الآيات الأولى تحمل رسالة روحانية عميقة، وتحفز الإنسان على إدراك حقيقة وجوده وواجباته تجاه الله. كما تبرز أهمية القراءة والكتابة كأدوات فكرية لازمة في بناء الحضارة الإسلامية.

وعلى صعيد التشريع، فإن هذه البداية تعني أن الرسالة بدأت بمنهجية رحيمة، حيث استغرق الوحي سنوات حتى اكتملت الصورة التشريعية الكاملة.

القرآن نفسه يذكر:

﴿نَزَّلَهُ رُوحُ مِّن رَّبِّكَ لِلْهُدَىٰ وَلِدِينِ الْقَيِّمِ﴾ (الشعراء: 193).

هذه الآيات تعكس شمولية الوحي، وتدعو إلى النظر إلى القرآن كنظام متكامل ومتدرج في خطاباته. ولقد أكد ابن كثير في تفسيره أن أول ما نزل من القرآن هو ما نزل على النبي ﷺ في غار حراء، وهي الآيات التي يبدأ بها الأمر بالقراءة والتعلم، مما يؤكد أن العلم هو مفتاح النبوة والرسالة. [ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار عالم الكتب، بيروت، 2000، ص: 15-17] .

آخر ما نزل من القرآن: دلالاته وأثره

أما آخر ما نزل من القرآن، فقد أثار جدلاً بين العلماء، فمنهم من رأى أن آخر آية نزلت هي آية إتمام الدين:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ (المائدة: 3)، وهذه الآية تحمل دلالات عظيمة لإعلان اكتمال الرسالة الإسلامية، وبذلك يتم الإشارة إلى أن التشريع وصل إلى كماله.

وهناك آيات أخرى اعتُبرت من الآيات الأخيرة مثل قوله تعالى:

﴿هذا يوم ينجى فيه المؤمنون﴾ (آل عمران: 185)، التي تشير إلى نهاية مرحلة وتأكيد الجزاء. الاختلاف في تحديد آخر ما نزل لا يغير من حقيقة أن القرآن جاء تدريجيًا بحسب الأحوال والمواقف التي يمر بها المسلمون، وهو ما يبرز حكمة التشريع وتدبير الله تعالى لشؤون الناس.

الحديث الشريف يؤيد هذه الفكرة، حيث قال النبي ﷺ: «لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي»؛ ما يعني أن النصوص الأخيرة تضمنت خلاصة التشريع والدين. إن معرفة آخر ما نزل من القرآن تساعد في تفسير النصوص التشريعية، حيث يظهر تأثيرها في تنظيم الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية للمسلمين في المدينة.

كذلك، فإن هذا الترتيب الزمني يساعد في فهم الحالات التي كانت تُنزل فيها الآيات، مما يعزز الدقة في التفسير والتطبيق الشرعي.

[الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، 1985، ص: 293] .

الناسخ والمنسوخ: التعريف والأدلة

الناسخ والمنسوخ هما من أهم المفاهيم في فهم التطور التشريعي في القرآن الكريم، حيث يدل النسخ على إلغاء حكم سابق بحكم لاحق جاء في نص قرآني أو سنة نبوية. فالناسخ هو الحكم الذي حل محل حكم سابق، والمنسوخ هو الحكم الذي تم إبطاله.

قال تعالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (البقرة: 106).

هذا النص يوضح حكمة النسخ، وهو تيسير على الأمة مع التدرج في التشريع.

كما أن هناك دليلًا ضمنيًا في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا نَسِيَ الْإِنْسَانُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (محمد: 24)، وهذا يشير إلى نسخ بعض الأحكام أو الأحكام السابقة التي تم استبدالها بأحكام أخرى.

الناسخ والمنسوخ يظهران بوضوح في التشريع الإسلامي؛ فالأحكام تتغير بحسب الظروف الاجتماعية والسياسية، وهو ما يتطلب فهمًا دقيقًا لمعنى النسخ والابتلاء به.

وقد اعتمد العلماء على نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأسباب النزول، لفهم النسخ والناسخ والتمييز بينهما.

وهذا الأمر له أبعاد فقهية وتفسيرية مهمة، ويحتاج إلى معرفة متعمقة وعناية دقيقة في التأصيل والبحث العلمي.

[السعدي، تفسير القرآن الكريم، دار الفيحاء، الرياض، 1998، ص: 112] .

أقسام النسخ وأمثلة عليه :

ينقسم النسخ إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

1. نسخ الحكم مع بقاء اللفظ، كما في قوله تعالى:

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ (النساء: 43)، إذ نُسخ حكم الصلاة في حالة السكر، بينما بقي النص.

2. نسخ الحكم واللفظ معًا، مثل الأحكام المتعلقة بالقتال في بداية الدعوة التي نسخت بآيات أخرى، وهذا يعني إلغاء النص والحكم معًا.

3. نسخ الحكم بدون تغيير اللفظ، وهو أقل شيوعًا، حيث يبقى النص لكنه يُفسر بشكل مختلف بحسب النسخ.

مثال على النسخ المتتابع هو تحريم الخمر، فقد جاء أولًا التحذير في سورة البقرة:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾ (البقرة: 219)، ثم أمر بعدم الصلاة في حالة السكر (النساء: 43)، ثم جاء التحريم القطعي في المائدة (المائدة: 90-91) .

هذا التسلسل يدل على الحكمة من التدرج في التشريع، ويبين رحمة الله بالتيسير على عباده.

أيضًا، أمر القتال بدأ تدريجيًا، حيث نزل الأمر بالصلح في مكة، ثم نزلت آيات القتال بعد الهجرة في المدينة، كما في سورة التوبة:

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: 5) .

فهم هذه الأقسام ضروري لفهم منهج التشريع القرآني، ولفهم كيفية تطبيق الأحكام الشرعية عبر الزمن.

[الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار صادر، بيروت، 1999، ص: 203-207].

المناهج العلمية في دراسة النسخ والنقد المعاصر :

في دراسة الناسخ والمنسوخ، يجب أن يلتزم الباحث بمنهجية علمية صارمة، تبدأ بالتحقق من صحة أسباب النزول، والرجوع إلى المصادر الموثوقة كالحديث النبوي والسيرة، والتفسير المعتبر. فهم التطور التشريعي يتطلب دراسة الظروف الاجتماعية والتاريخية التي نزل فيها النص، لفهم حكمة النسخ ومدى تأثيره على التشريع.

العديد من العلماء المعاصرين ناقشوا فكرة النسخ، حيث ينكر البعض النسخ بالمعنى التقليدي، ويفسرون ما يبدو نسخًا على أنه تخصيص أو تأويل للنصوص، لكن هذا الاتجاه لا يحظى بقبول واسع بين العلماء التقليديين الذين يرون أن النسخ حقيقة شرعية مثبتة بالأدلة.

الدراسة النقدية الحديثة تدعو إلى فهم أعمق للنسخ، حيث لا يكون نسخًا مطلقًا بل تطورًا تشريعيًا يعكس مرونة الشريعة.

النسخ إذًا ليس فقط حذفًا بل هو تعديل للحكم بما يناسب الظروف، وهو من رحمة الله بعباده، وهو ما أكده النبي ﷺ في سنته التي فسر بها النصوص وأوضح معانيها.

إذًا، تبقى دراسة الناسخ والمنسوخ ركنًا أساسيًا لفهم القرآن وفهم التشريع الإسلامي كما أراده الله سبحانه وتعالى، مع احترام قواعد التحقيق والموثوقية العلمية.

[القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص: 45-49] .

خاتمة :

إن فهم السياق التراتبي للقرآن الكريم، من خلال معرفة أول وآخر ما نزل، ودراسة الناسخ والمنسوخ، هو مفتاح ضروري لفهم التوجيهات والتشريعات الإسلامية في ضوء التدرج الزمني والحكمة الربانية.

هذا الفهم يعكس رحمة الله وسعة تشريعه الذي يراعي تغير الأحوال والظروف، ويضمن بقاء النص القرآني حيًّا متكيفًا مع الواقع. كما أن دراسة هذا السياق تساعد المفسر والعالم في تفنيد التأويلات الخاطئة وتوجيه التفسير إلى منهج علمي رصين يعتمد على الأدلة من القرآن والسنة والتاريخ. ويُشجع على استخدام مصادر موثوقة والتحقق الدائم من صحة الروايات وأسباب النزول، مع التزام الصدق العلمي والأمانة في النقل والتفسير. والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

1. محمد فؤاد عبد الباقي، علوم القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.
2. ابن كثير.

المحاضرة 08 : السياق التداولي:(القراءات القرآنية، مفهومها، أنواعها، الحكمة منها)

مفهوم القراءات القرآنية :

تُعرّف القراءات القرآنية في اللغة على أنها مصدر الفعل "قرأ"، ويقصد بها لفظ النص ونطقه. أما اصطلاحًا في علوم القرآن فهي "كيفية لفظ الحروف من جهة مخارجها وصفاتها كما ثبتت عن رسول الله ﷺ عن طريق الإسناد المتصل المتواتر". وبذلك فإن القراءة تختلف عن التفسير الذي يتعلق بالمعنى والشرح، بينما القراءة تختص بالنطق واللفظ الصحيح. يقول ابن الجزري في تعريف القراءة: "القراءة هي كيفية لفظ الحرف من جهة مخارجه وصفاته كما ثبتت عن رسول الله ﷺ" [ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص: 12].

هذه القراءة ليست مجرد نطق عادي، بل هي علم دقيق يتطلب معرفة مخارج الحروف وصفاتها، وهو ما يجعل لكل قراءة خصوصيتها، لكن دون تغيير في المعنى الكلي للنص. وهذا يؤكد الحفاظ على أصالة النص القرآني وسلامته عبر القراءات المختلفة. كما يشير القرآن الكريم إلى أهمية الترتيل في التلاوة بقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزّمّل: 4]، مما يدل على أن التلاوة يجب أن تكون متأنية ومحكمة، وهو ما يتطلب ضوابط علمية واضحة للقراءة.

تعدد القراءات القرآنية لا يعني تعدد النصوص أو التغيير في المعاني الأساسية، بل هو انعكاس لاختلاف اللهجات وأساليب النطق بين قبائل العرب في زمن نزول القرآن، وقد ورد عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «قرؤوا القرآن كما نطق به أهل مكة» [صحيح البخاري، كتاب التلاوة، حديث رقم 4939]. إذًا، القراءات تعكس التنوع اللغوي ضمن وحدة النص القرآني.

من الناحية العملية، تمييز القراءة من التجويد ضروري، فالقراءة تعني كيفية لفظ النص كما ورد، أما التجويد فهو فن ضبط النطق وتزيين التلاوة بحروف ومدود وحركات معينة، وهو ما يعزز من جمال القرآن وييسر حفظه. هذا التقسيم علمي ثبت في الكتب المتخصصة، كما يوضح ذلك محمد علي الصابوني في كتابه "القراءات القرآنية" [الصابوني، القراءات القرآنية، ص: 35] .

ختامًا، فهم مفهوم القراءات القرآنية يساعدنا على استيعاب تنوع التلاوة ضمن ثبات النص، ويؤكد أهمية الالتزام بالسند النبوي في حفظ هذا التراث العظيم.

أنواع القراءات القرآنية :

القراءات القرآنية تنقسم إلى عدة أنواع، تختلف في درجة الثبوت والانتشار. أولها القراءات المتواترة، وهي التي ثبتت عن النبي ﷺ عن طريق أسانيد متصلة متواترة، مثل قراءة حفص عن عاصم، وهي الأكثر انتشارًا في العالم الإسلامي. كما توجد قراءات أخرى مشهورة مثل ورش عن نافع، قالون عن نافع، الدوري عن أبي عمرو، وهي جميعًا تمثل مراجع موثوقة في علم القراءات [ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص: 45].

النوع الثاني هو القراءات الآحاد، وهي التي رواها راوٍ واحد، ولا تُقبل إلا بعد تحقيق دقيق لنقلها وقبولها، لأن ثبوتها ليس بتواتر. هذه القراءات لا تُعتمد في العادة في المصاحف الرسمية، لكنها مهمة في دراسات التنوع القرائي وفهم الاختلافات الصوتية.

وهناك القراءات المشهورة والمرسلة، فالمشهورة هي التي اعتمدها العلماء وتلقاها الجمهور، مثل قراءة حفص، أما المرسلة فهي تلك القراءات المعروفة لكن دون تواتر، فيصعب الحكم بجزم عليها لكنها تضيف أبعادًا للنص.

تأثير اللهجات العربية على القراءات ظاهر في اختلاف بعض الأصوات والحركات، وهذا التباين يتناسب مع اختلاف القبائل واللهجات في الجزيرة العربية، كما أشار الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" [السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 210].

هذه الأنواع تعكس دقة العلم القرائي، وتجعل حفظ القرآن وتلاوته متاحة لجميع الألسنة العربية، مع ثبات المعنى النصي، وهو أمر فريد في علوم القرآن.

الحكمة من تعدد القراءات :

التعدد في القراءات القرآنية له حكمته الكبرى، منها التيسير على الشعوب المختلفة. الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل تلاوة القرآن سهلة على جميع الناس، حتى وإن اختلفت اللهجات، فقد خلق قراءات تناسب هذه التنوعات، دون أن يمس جوهر النص أو معناه. وهذا دليل على رحمة الله وسعة دينه.

إضافة لذلك، تسهم القراءات في توضيح معانٍ متعددة للنص، فهي ليست فقط اختلافًا في اللفظ، بل أحيانًا تكشف عن ظلال دلالية متنوعة تُثري الفهم والتفسير. وهذا ما يعزز الإعجاز البلاغي في القرآن، ويُبرز مرونة النص وسعة معانيه.

كما أن كثرة القراءات تعد وسيلة فعالة لحماية النص من التحريف، فالتواتر في نقل عدة قراءات يمنع تحريف النص أو تغييره، ويؤكد سلامته عبر الزمن. إذ يقول تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106]، وفي السياق نفسه، تشير القراءات إلى مرونة التشريع وسعة الفقه.

القراءات تعطي الترخيص في التلاوة بشكل متنوع، مع شرط عدم مخالفة المعنى، وهذا يدل على حكمة الله في التشريع، وتيسير أداء العبادة للمسلمين، كما ثبت في الحديث الشريف: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم 5027] .

الحكمة في تعدد القراءات تؤكد أن القرآن ليس نصًا جامدًا، بل خطاب حي يتفاعل مع لغة الإنسان ولهجاته، ويظل صامدًا في معناه وهدفه.

أثر القراءات في السياق التداولي للنص القرآني :

القراءات تؤثر تأثيرًا ملموسًا على الفهم اللغوي للنص، فالاختلاف في مخارج الحروف أو الحركات أحيانًا يغير التركيب اللغوي، وهذا قد يؤدي إلى تغييرات طفيفة في المعنى، لكن دون المساس بالمقصد العام، مما يثري فهم النص ويمنحه أبعادًا متعددة.

في بعض الحالات، يترتب على اختلاف القراءة حكم فقهي متباين، فمثلاً في آيات معينة يكون الاختلاف في القراءة سببًا لاختلاف الفقهاء في الحكم الشرعي، وهذا يظهر عمق العلاقة بين اللفظ والفقه في القرآن، كما شرح ذلك الإمام القرطبي في تفسيره [القرطبي، تفسير القرطبي، دار الفكر، بيروت، 1999، ص: 112] .

من ناحية التفسير، يستخدم العلماء القراءات المختلفة لفهم أعمق للآيات، فهي تفتح آفاقًا جديدة للتأويل، ولا تُغلق باب الاجتهاد، ما يجعل التفسير مستمرًا ومتجددًا عبر الزمن.

القراءات تعزز السياق التداولي للنص، حيث يُنظر للنص القرآني كخطاب متعدد الأصوات، متفاعل مع متلقّيه عبر التاريخ، وهو ما يدعم فهم النص في ضوء السياقات الاجتماعية واللغوية المتغيرة، كما بين ذلك عبد الله دراز في كتابه "القرآن والسنة" [دراز، القرآن والسنة، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص: 210] .

بالتالي، القراءات ليست مجرد اختلافات لفظية بل تمثل جانبًا جوهريًا في فهم النص القرآني وتداوله بين الأجيال.

مناهج دراسة القراءات :

في الدراسات التقليدية، تعتمد دراسة القراءات على التوثيق العلمي للسند والتواتر، حيث تُجمع القراءات المتواترة من رواة ثقات، ويُفحص نقلها عبر الأجيال، وهذا ما يضمن صحة الثبات والنقل عن النبي ﷺ.

أما الدراسات الحديثة، فتركز على استخدام علوم اللغة وتحليل الخطاب لفهم التنوع القرائي، وتحليل الأوجه البلاغية والدلالية، إضافة إلى دراسة تأثير الاختلافات اللهجية والتاريخية على التلاوة، كما بين ذلك طه عبد الرحمن في مؤلفه "علوم القرآن" [طه عبد الرحمن، علوم القرآن، دار المعارف، القاهرة، 2001، ص: 142] . تتم أيضًا مقارنة القراءات مع المخطوطات القديمة، وتحليل الاختلافات النصية، مع الحفاظ على احترام الثوابت القرآنية.

تعتمد مناهج الدراسة الحديثة على العلوم اللغوية الحديثة، مثل علم الصوتيات، واللسانيات التداولية، لتفسير القراءات وتأثيرها في فهم النص.

المناهج تهدف إلى الجمع بين حفظ النص وفتح آفاق جديدة لفهمه، مع ضمان عدم المساس بالثوابت الشرعية، وهو توازن علمي دقيق يتطلب دراسة متعمقة ومستفيضة.

هذا التزاوج بين التقليدي والحديث في دراسة القراءات يعكس عمق هذا العلم وأهميته في فهم القرآن الكريم عبر العصور.

خاتمة :

القراءات القرآنية تمثل ثراء لغويًا وبلاغيًا فريدًا في النص المقدس. إنها تعكس حكمة الله سبحانه في التشريع والبلاغة، وتؤكد رحمة الإسلام وسعة دينه، بقبول التنوع اللغوي في إطار وحدة النص والمعنى.

هذا التنوع القرائي يعزز فهم النص وتفسيره عبر الأجيال، ويسمح بالمرونة اللغوية والفقهية، مع الحفاظ على أصالة القرآن ومكانته كمعجزة إلهية محفوظة.

وقد شهد النبي ﷺ بحفظ الله لكتابه، بقوله: «إن هذا القرآن أعجمي، لا يُدركه أحد إلا بلغته» [رواه ابن ماجه، كتاب القراءة، حديث رقم 1332]، وهو ما يفسر أهمية حفظ اللفظ مع السماح بالقراءات المتعددة ضمن الضوابط الشرعية.

لذا، فإن دراسة القراءات القرآنية ليست فقط موضوعًا لغويًا أو شرعيًا، بل هي جسر لفهم الدين والتفاعل مع كلام الله في أبعاد مختلفة، عبر الزمان والمكان، في ثبات واستمرارية.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
2. الصابوني، محمد علي، القراءات القرآنية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
3. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1988.
4. القرطبي، تفسير القرطبي، دار الفكر، بيروت، 1999.
5. دراز، عبد الله، القرآن والسنة، دار المعارف، القاهرة، 1968.
6. طه عبد الرحمن، علوم القرآن، دار المعارف، القاهرة، 2001.
7. صحيح البخاري، كتاب التلاوة وكتاب العلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2005.
8. صحيح ابن ماجه، كتاب القراءة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

المحاضرة 09 : مناهج التفسير ونقدها .

معنى التفسير والتأويل والشرح :

التفسير لغةً هو مصدر الفعل "فسر" الذي يعني الإفصاح والبيان، وهو في اصطلاح علوم القرآن العلم الذي يُعرّف به معاني القرآن الكريم، وبيان ما يحتاج إلى توضيح من آياته سواء كان ذلك بياناً لغوياً، تشريعياً، أو بيان أحكام. جاء في تعريف الزمخشري: "التفسير هو إظهار المراد من كلام الله – تعالى– ببيان دلالته." أما ابن جرير الطبري فيقول: "التفسير هو إظهار المعاني المكنونة في القرآن، وبيان ما يشكل على السامع" وهذا يدل على أن التفسير لا يقتصر على النطق أو التلاوة، بل هو جهد فكري في كشف غوامض النص.

أما التأويل، فهو لغةً إعادة الشيء إلى أصله أو معناه الحقيقي، أما اصطلاحًا فهو تعبير عن المعنى الحقيقي للنص، خصوصًا إذا كان النص مجازيًا أو يحمل أكثر من معنى. قال الإمام القرطبي: "التأويل غالبًا ما يكون للآيات التي تحتاج إلى تفسير عميق أو باطني." بالتالي، التأويل يُعنى بمعاني عميقة أو باطنية للنصوص قد لا تصل إليها القراءة الظاهرة.

الشرح هو بيان الكلام وتفصيله وبيان ما هو مبهم، وهو أكثر تخصصاً في تفصيل النص، والفرق الأساسي بين التفسير والشرح هو أن التفسير أعم وأشمل من الشرح، إذ يشمل البيان اللغوي، التشريعي، والبلاغي، أما الشرح فهو تفصيل الكلام وتوضيح مباحثه بلغة مبسطة.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7]، وهذا يؤكد على خصوصية التأويل الذي قد يكون بعيدًا عن ظاهر النص، ويستوجب علمًا وخبرة عميقة.

شروط المفسر (العلمية والذاتية) :

المفسر يجب أن يتوافر فيه شروط علمية وشخصية لكي يؤدي رسالته بدقة وأمانة، أولها العلم المتين بالقرآن، يشمل معرفة متن القرآن، أسباب النزول، وجميع القراءات الصحيحة. كذلك العلم باللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وبيان أمر ضروري لفهم النصوص الدقيقة للقرآن. كما يلزم إلمامه بالسنة النبوية التي تكمل التفسير وتشرح مقاصد النص، إضافة إلى معرفة أسباب النزول، لأنها تشرح السياق التاريخي والواقعي للآيات. أيضًا، العلم بالفقه وأحكام الشريعة ضروري لفهم الأحكام الفقهية المترتبة على الآيات، ولا يغفل المفسر المصادر الإسلامية الأخرى كالحديث وعلوم التفسير بالرواية والرأي.

أما الشروط الذاتية فتشمل التقوى والورع، لأن تفسير كلام الله يحتاج خشية لله وجدية في العمل، والعدل في النقل، بعدم تحريف أو تزييف المعنى. كما يجب عليه الصدق والأمانة العلمية في نقل المعنى بموضوعية. يجب أن يبتعد عن الغلو والتطرف، ويتحلى بالقدرة على الحوار والنقد العلمي المستمر. قال النبي ﷺ: "إن هذا القرآن حبل الله المتين..." (رواه مسلم)، ما يؤكد على أن تفسيره يجب أن يكون وفق منهجية دقيقة تحافظ على قدسية النص.

تاريخ التفسير (في عهد الصحابة، التابعين، وعصر التدوين) :

في عهد الصحابة رضي الله عنهم، كان التفسير يحدث شفهيًا عن طريق النقل المباشر عن النبي ﷺ أو شرح الصحابة له. كان عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان من أبرز من فسّروا القرآن في تلك المرحلة، مستندين إلى النقل والسياق المباشر.

مع ظهور التابعين، توسعت دائرة التفسير وبدأ التابعون في نقل العلم عن الصحابة وتعليم التفسير، مع بروز علماء كبار مثل مجاهد بن جبر، سعيد بن جبير، وكان ابن عباس في عصور متأخرة منهم يواصل هذا العمل.

في عصر التدوين، مع انتشار الإسلام وظهور الخلافات والفرق الكلامية، بدأت المدارس التفسيرية تتبلور، وبدأ العلماء كابن جرير الطبري وأبي حيان الأندلسي في تأليف كتب تفسيرية منهجية، مما أرسى قواعد التفسير بالرواية والرأي، وظهر التنوع في المناهج التفسيرية.

مناهج التفسير ونقدها :

هناك مناهج تفسيرية متعددة أبرزها التفسير بالرواية، والذي يعتمد على النقل المباشر عن الصحابة والتابعين، ويمتاز بالدقة والاتباع للمصدر الأول. ولكن نقد هذا المنهج يكمن في قلة التوسع في الرأي والاجتهاد، وقصور الشرح اللغوي.

أما التفسير بالرأي فيعتمد على الاجتهاد اللغوي والفقهي، ويوفر مرونة في التعامل مع النص، ويفسر المعاني المتشعبة التي تتطلب فهماً عميقاً. النقد هنا يتمثل في احتمال التحيز أو الابتعاد عن النص الصريح، وقد يؤدي إلى تأويلات غير دقيقة.

هناك التفسير الموضوعي الذي يركز على موضوعات محددة من القرآن، ولكنه قد يختزل النص أو يجزئه مما قد يضعف فهم النص الشامل.

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلِ الْقَرْآنَ عَنِ الْيَقِينِ﴾ [النبأ: 38]، يدل على ضرورة التدقيق في التفسير وعدم الخروج عن منهج النص.

نقد مناهج التفسير المختلفة :

في النقد، يعتبر الجمع بين النقل والبحث شرطًا أساسيًا لمنهج المفسر السليم. فالتفسير بالرواية جيد من حيث الأصالة، لكنه قد لا يواكب متطلبات العصر. أما التفسير بالرأي، فعلى الرغم من ضرورته إلا أنه معرض للخطأ والتحيز، لذلك يجب أن يقترن بالعلم الشرعي واللغة.

بالنسبة للتفسير الموضوعي، فإنه يعزز فهم القارئ للمواضيع، لكن يحتاج إلى توخي الحذر حتى لا يتحول إلى تجزئة للنص.

على المفسر أن يتبع منهجًا متوازنًا يجمع بين النقل والبحث، ويعتمد على شروط علمية وذاتية، كما يجب أن يكون حريصًا على عدم الابتعاد عن مقاصد الشريعة والنص.

أهمية التفسير في حفظ النص وتحقيق الفهم :

التفسير هو الوسيلة التي بها يحفظ المسلمون معاني القرآن ويتدارسونها، ويحولون النصوص القرآنية إلى تطبيق عملي في حياتهم. الحديث الشريف يؤكد ذلك، حيث قال النبي ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه." (رواه البخاري). بهذا، فإن التفسير ليس مجرد علم جامد، بل هو حياة للنص في ضمير الأمة.

وبذلك، تستمر مهمة التفسير في عصرنا الحاضر، مع تطور المناهج العلمية واستخدام أدوات البحث الحديثة، ليظل القرآن واضحًا متجددًا، قادرًا على هداية البشرية.

قائمة المراجع والمصادر :

1. الزمخشري، "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 2003.
2. ابن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، دار الفكر، دمشق، 1997.
3. القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.
4. علي الصلابي، "مقاصد التفسير الإسلامي"، دار المعارف، القاهرة، 2010.
5. محمد حسين الذهبي، "التراث الإسلامي في ميزان النقد"، دار المعرفة، بيروت، 2005.
6. محمد عمارة، "علم التفسير: أصوله، مناهجه، مدارسه"، دار النهضة العربية، بيروت، 2008.

المحاضرة 10 : التفسير بالمأثور: خصائصه ، أعلامه، نقده. التفسير بالرأي: أعلامه، نقده

التفسير بالمأثور: خصائصه .

يُعدّ التفسير بالمأثور من أقدم مناهج تفسير القرآن الكريم، حيث يعتمد على ما ورد عن النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين من أقوال وشروح .يتميز هذا المنهج بالاعتماد على النقل الموثوق، مما يمنحه مصداقية عالية في فهم النصوص القرآنية .وقد عرّفه الإمام السيوطي بقوله: "التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بما ورد عن النبي ﷺ وأصحابه من الأحاديث والآثار . "ومن خصائصه:

- الاعتماد على النقل المباشر والسند الصحيح.
- الارتكاز على فهم السلف من الصحابة والتابعين.
- التميّز بالدقة والموثوقية، وتقليل الاجتهاد الشخصي.
- توفير تفسيرات واضحة تشرح أسباب النزول وبيان كلمات القرآن.

وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى أهمية هذا المنهج، مع التنبيه إلى ضرورة عدم الجمود عليه، حيث قال: "أما الذين جمدوا على القول بأن تفسير القرآن يجب ألا يعدو ما هو مأثور، فهم رموا هذه الكلمة على عواهنها، ولم يضبطوا مرادهم من المأثور عمن يؤثر. "

أعلام التفسير بالمأثور :

برز في مجال التفسير بالمأثور عدد من العلماء الذين أسهموا في نقل وتوثيق تفسير القرآن الكريم، ومن أبرزهم:

- **عبد الله بن عباس رضي الله عنه** :يُعدّ من أوائل المفسرين، وقد دعا له النبي ﷺ بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. "
- **ابن جرير الطبري** :صاحب تفسير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، الذي يُعتبر من أهم كتب التفسير بالمأثور، حيث جمع فيه أقوال الصحابة والتابعين، مع توثيق الأسانيد .
- **القرطبي** :صاحب تفسير "الجامع لأحكام القرآن"، الذي جمع بين التفسير بالمأثور والفقه، مع التركيز على الأحكام الشرعية.
- **ابن كثير** :صاحب تفسير "تفسير القرآن العظيم"، الذي اعتمد فيه على المأثور، مع توثيق الروايات وتقييمها.

وقد أشار الإمام السيوطي إلى أهمية تفسير الطبري، قائلاً: "وكتابه – يعني تفسير محمد بن جرير – أجلّ التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، وبيان مأخذها، وتفسير الآية بأقوال السلف".

نقد التفسير بالمأثور :

على الرغم من أهمية التفسير بالمأثور، إلا أنه لم يَسلم من النقد، ومن أبرز الملاحظات عليه:

- **الاعتماد الكبير على صحة النقل** :مما قد يؤدي إلى قبول روايات ضعيفة أو موضوعة، خاصة إذا لم يتم التحقق من الأسانيد.
- **محدودية التوسع اللغوي والفكري** :حيث يقتصر على ما ورد من أقوال، دون الاجتهاد في استنباط معانٍ جديدة تتناسب مع تطور اللغة والفكر.

- **الافتقار إلى ربط النص بالواقع المعاصر** :مما يجعل التفسير بعيدًا عن معالجة القضايا الحديثة.

وقد أشار الإمام أحمد بن حنبل إلى بعض هذه الإشكالات بقوله: "ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي ".

التفسير بالرأي: أعلامه :

التفسير بالرأي يعتمد على الاجتهاد العقلي واللغوي في فهم النصوص القرآنية، مع مراعاة قواعد اللغة وأسباب النزول والفقه .ومن أبرز أعلام هذا المنهج:

- **الفخر الرازي** :صاحب تفسير "مفاتيح الغيب"، الذي يُعدّ من أبرز التفاسير العقلية، حيث تناول فيه المسائل الفلسفية والكلامية.
- **الزمخشري** :صاحب تفسير "الكشاف"، الذي جمع بين البلاغة واللغة في تفسير القرآن.
- **الطبرسي** :صاحب تفسير "مجمع البيان"، الذي جمع فيه بين المأثور والرأي، مع التركيز على الجوانب اللغوية والفقهية.
- **البيضاوي** :صاحب تفسير "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، الذي يُعدّ من التفاسير المتوسطة بين المأثور والرأي .

وقد أشار ابن تيمية إلى جواز التفسير بالرأي إذا ثبتت صحة المعنى، قائلاً: "التفسير بالرأي جائز إذا ثبتت صحة المعنى . "

نقد التفسير بالرأي

التفسير بالرأي، رغم ما يقدمه من اجتهادات عقلية، إلا أنه يواجه بعض الانتقادات، منها:

- **احتمال التحيز والاجتهاد الخاطئ** :حيث قد يؤدي الاعتماد على الرأي الشخصي إلى تفسيرات بعيدة عن المعنى الصحيح.
- **الابتعاد عن النصوص الشرعية** :خاصة إذا لم يتم الاستناد إلى الأحاديث والآثار الموثوقة.
- **الافتقاد إلى الدقة في النقل** :مما قد يؤدي إلى تفسيرات غير دقيقة أو متناقضة.

وقد حذر عمر بن الخطاب رضي الله عنه من التفسير بالرأي بقوله: "اتقوا الرأي في دينكم . "

مقارنة بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

البند	التفسير بالمأثور	التفسير بالرأي
المصدر الأساسي	النصوص عن النبي والصحابة	الاجتهاد والرأي الشخصي
الأساس	النقل المتواتر	العقل واللغة والتأويل
مدى الاعتماد	عالٍ على النقل	عالٍ على الاجتهاد
نقاط القوة	الدقة والموثوقية	التوسع في الفهم
نقاط الضعف	محدودية التوسع والابتكار	احتمال الخطأ والتأويل الخاطئ

الخاتمة :

يُعدّ كل من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي من الركائز الأساسية في علم التفسير، حيث يكمل كل منهما الآخر .فالتفسير بالمأثور يوفر الأساس الموثوق لفهم النصوص، بينما يتيح التفسير بالرأي

المجال للاجتهاد والتوسع في المعاني .ومن المهم للباحثين في علوم القرآن أن يجمعوا بين المنهجين، مع مراعاة الضوابط الشرعية والعلمية، لتحقيق فهم أعمق للنصوص القرآنية.

قائمة المصادر والمراجع

1. السيوطي، جلال الدين، "الإتقان في علوم القرآن"، دار الفكر، بيروت، 2000.
2. الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، دار الفكر، بيروت، 1992.
3. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم"، دار طيبة، الرياض، 1999.
4. الزمخشري، محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار المعرفة، بيروت، 2003.
5. الرازي، فخر الدين، "مفاتيح الغيب"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001 .
6. القرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن"، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 .
7. البيضاوي، عبد الله بن عمر، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998 .
8. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، "مقدمة في أصول التفسير"، دار ابن الجوزي، الدمام، 2002.
9. الطبرسي، فضل بن الحسن، "مجمع البيان في تفسير القرآن"، دار المعرفة، بيروت، 2004.
10. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، دار الكتب العلمية،

المحاضرة 11 : التفسير اللغوي: خصائصه،أعلامه، نقده

المقدمة :

يُعدّ التفسير اللغوي من أبرز المناهج التي اعتمدها العلماء لفهم معاني القرآن الكريم، نظراً لكون النص القرآني نزل بلسان عربي مبين، مما يقتضي الرجوع إلى علوم اللغة لفهم دقيق وعميق للخطاب الإلهي. وقد أولى السلف الصالح ومن تبعهم من العلماء اهتماماً بالغاً بدراسة الألفاظ القرآنية، وصيغها، وتراكيبها، وبلاغتها، معتبرين اللغة وسيلتهم الأساسية لاكتشاف مراد الله تعالى. لذلك، فإن التفسير اللغوي يمثل ركيزة أساسية لفهم القرآن الكريم في ضوء قواعد النحو والصرف والبيان والمعاني والبلاغة، وكلها من العلوم التي أثرت المكتبة الإسلامية وأسهمت في تيسير فهم القرآن. وفي هذا السياق، تسعى هذه المحاضرة إلى تسليط الضوء على خصائص التفسير اللغوي، أبرز أعلامه، ونقده.

تعريف التفسير اللغوي

يُعرّف التفسير اللغوي بأنه المنهج الذي يعتمد على دراسة القرآن الكريم من خلال اللغة العربية، بما فيها من علوم النحو، والصرف، والبلاغة، والدلالة، والاشتقاق، بهدف فهم معاني الآيات وتبيين دلالاتها وأسرارها البيانية. ويرتكز هذا المنهج على مقاربة الآيات من منظور لغوي صرف، ما يجعل اللغة الوسيلة الأساسية لفهم النص الإلهي. وقد أشار ابن جني إلى أهمية اللغة قائلاً: "اللغةُ مِرْآةُ الفكر، وعليها المعوّل في بيان المراد" [ابن جني، الخصائص، ص: 15]. فاللغة تمثل الإطار الحامل للمعنى، ولا سبيل لفهم مراد المتكلم إلا من خلال دلالاتها وتركيباتها. وقد تميز هذا المنهج بقدرته على

كشف إعجاز القرآن البياني، لا سيما في مواطن المجاز، والحذف، والتقديم، والتأخير، والاشتقاق، والتكرار.

خصائص التفسير اللغوي :

من أبرز خصائص التفسير اللغوي اعتماده الكامل على علوم اللغة العربية، ويأتي في مقدمتها علم النحو الذي يهتم بالبنية الإعرابية للجمل، ويكشف عن المعاني المختلفة تبعاً لتغير الحركات. كما يعتمد على علم الصرف الذي يعالج بنية الكلمة، ويكشف عن اشتقاقاتها ودلالاتها. كذلك فإن علم البلاغة، بفروعه الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، يتيح للمفسر استجلاء أوجه الإعجاز القرآني، وهو ما أشار إليه الجرجاني بقوله: "الإعجاز في نظم القرآن إنما يُدرك بفهم البلاغة وأسرارها" [الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 23]. من الخصائص الأخرى: تفسير الألفاظ بحسب سياقها، ووفق دلالاتها في عصر النزول، وهو ما يجعل هذا المنهج منسجماً مع اللغة الأصيلة للقرآن، ومعالجاً للانزلاقات التأويلية الناتجة عن الجهل بدلالات الألفاظ.

أعلام التفسير اللغوي :

شهد التاريخ الإسلامي بروز أعلام كبار خدموا التفسير اللغوي، منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العَروض والمعجم العربي، والذي قال عنه الزبيدي: "ما سبقه سابق في ضبط الألفاظ، ولا لحقه لاحق في ترتيب المعاني" [الزبيدي، تاج العروس، ص: 102]. ثم جاء سيبويه، صاحب كتاب "الكتاب" الذي أسّس علم النحو، وكان مرجعاً في فهم تراكيب القرآن الكريم. كذلك نجد الزمخشري في تفسيره "الكشاف"، الذي جمع بين البلاغة والتفسير، وقدّم تحليلاً دقيقاً للأساليب

القرآنية، حيث قال: "من أراد التفسير البياني للقرآن فعليه بالكشاف" [الزمخشري، الكشاف، ص: 7]. كما لا يمكن إغفال جهود عبد القاهر الجرجاني الذي طوّر نظرية النظم، ورأى أن المعنى لا يُفهم إلا من خلال التركيب، وقال: "المعنى في النظم، لا في المفردات" [الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 55].

نماذج من التفسير اللغوي :

يُعد تفسير كلمة "الصمد" في سورة الإخلاص من أبرز الأمثلة على التفسير اللغوي. فقد قال ابن عباس: "الصمد هو السيد الذي لا يُقضى دونه أمر"، وبيّن أهل اللغة أن أصل الكلمة يدل على القصد والرفعة. كذلك نجد في قوله تعالى: {ولا يُظلمون فتيلاً} [النساء: 49]، أن الفتيل هو الخيط الرفيع في شق النواة، ما يُظهر دقة التعبير القرآني. وفي قوله تعالى: {فطفق مسحاً بالسوق والأعناق} [ص: 33]، استعمل القرآن كلمة "فطفق" التي تدل على الاستمرار في الفعل، وكلمة "مسحاً" التي جاءت بدلالة الضرب بالعنف، وهذا ما أكده الزمخشري في قوله: "إنّ التعبير جاء للتأكيد على عِظم الفعل وسرعة التنفيذ" [الزمخشري، الكشاف، ص: 245]. مثل هذه النماذج تُظهر الأثر الحاسم للتفسير اللغوي في الكشف عن معاني دقيقة لا تُدرك إلا بالتحليل اللغوي.

نقد التفسير اللغوي :

رغم أهمية التفسير اللغوي في توضيح المعاني القرآنية، إلا أنه لا يخلو من النقد. فمن جهة، يرى بعض العلماء أن الاقتصار على اللغة دون مراعاة أسباب النزول والسياق التاريخي قد يؤدي إلى تأويل بعيد، وهو ما أشار إليه الشاطبي بقوله: "اللغة وحدها لا تكفي، ما لم تُقرن بالسياق والمقاصد"

[الشاطبي، الموافقات، ص: 310]. كما أن المبالغة في التحليل البلاغي قد تفضي إلى التكلف أو تحميل النص ما لا يحتمل، خصوصاً إذا تجاهل المفسر قواعد التفسير الأخرى. ومن جهة أخرى، قد يقع التفسير اللغوي في الغموض، بسبب التعقيد الاصطلاحي أو التفاوت في المذاهب النحوية، مما يصعب على القارئ العادي فهم المعنى. لذلك، فإن التفسير اللغوي رغم ضرورته، يحتاج إلى التكامل مع باقي المناهج لضمان الفهم المتوازن والشامل.

الخاتمة :

إن التفسير اللغوي يمثل دعامة أساسية في فهم القرآن الكريم، ولا يمكن الاستغناء عنه في الكشف عن دقة الألفاظ، وجمال الأساليب، وإعجاز البيان. ومع ذلك، لا يجب أن يظل المفسر حبيس اللغة فقط، بل ينبغي أن ينفتح على السياق الشرعي، والتاريخي، والعقلي للنص، لأن القرآن ليس نصاً لغوياً مجرداً، بل هو خطاب شامل يحمل في طياته تشريعاً، وهداية، وأحكاماً. لذلك، فإن دمج التفسير اللغوي مع غيره من المناهج يُعَدّ السبيل الأمثل لفهم القرآن فهماً سليماً ومتوازناً.

قائمة المراجع:

1. ابن جني، الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
2. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.
3. الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعارف، القاهرة، 1982.
4. الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الفكر، دمشق، 1991.
5. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، القاهرة، 1993.
6. الشاطبي، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، 2000.
7. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 2002.

المحاضرة 12 : التفسير البياني والأدبي: خصائصه،أعلامه، نقده

خصائص التفسير البياني والأدبي :

يُعنى التفسير البياني والأدبي بدراسة النص القرآني من جوانب جمالية وأسلوبية تعكس إعجاز القرآن الكريم في بُنيته الفنية والبلاغية. يعتمد هذا النوع من التفسير على تفكيك النص إلى عناصر بلاغية، وأساليب فنية، وصور بيانية تُبرز البراعة اللغوية والتراكيب الفنية في القرآن. من أهم خصائص هذا المنهج التركيز على جماليات النص القرآني، فهو يرى أن القرآن لا يُفهم فقط من خلال المعاني الحرفية بل من خلال الأثر الجمالي الذي يتركه أسلوبه الفريد، وهو ما يعزز قدرة القارئ على التفاعل معه بعمق وتأمل. يقول تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ} [القمر: 17]، مما يؤكد تيسير الأسلوب رغم عظم المعنى، وهو ما يستدعي تحليل الجوانب البيانية.

تتجلى الخصائص أيضًا في تحليل المحسنات البديعية مثل الطباق، والجناس، والاستعارة، والتشبيه، التي تزخر بها آيات القرآن وتُعطيه بعدًا فنيًا خاصًا. فمثلاً، قال عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز": "البلاغة هي حسن البيان الذي يتناسب مع مقام الخطاب" [[الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 45]]. وهذا يدل على أهمية الشكل والأسلوب في إيصال المعنى بوضوح وجمال. بالإضافة لذلك، يعتمد التفسير البياني على دراسة الإيقاع الصوتي والنغمي في القرآن، حيث إن تكرار بعض الأصوات وتنغيم الكلمات يضيف بعدًا آخر لفهم النص.

تتسم البنية الأدبية في التفسير الأدبي بتنظيم السورة إلى مقاطع تحمل أغراضًا بلاغية وروحية معينة، حيث يدرس هذا المنهج تسلسل الأحداث، وترابط الأفكار، والأساليب التي تجعل السورة وحدة متماسكة رغم التنوع الموضوعي. يقول الزمخشري في تفسيره "الكشاف": "إن القرآن منظوم أو مقطوع على أوزان فنية تجعل كل سورة قصة متكاملة" [[الزمخشري، الكشاف، ص: 102]]. كما يدرس التفسير الأدبي الأساليب القصصية والأمثال التي يقدمها القرآن، والتي تستخدم كوسائل تعليمية مؤثرة.

من الخصائص المهمة أيضًا هو فهم التكرار في القرآن باعتباره أداة بلاغية تكررت لتعزيز الفكرة وتثبيتها في ذهن السامع، كما في قوله تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: 55]. فالتكرار لا يكون مجرد استرسال، بل له دور في بناء الخطاب القرآني وتكثيف الرسائل.

الاعتماد على علوم البلاغة واللغة العربية يمثل ركيزة في هذا النوع من التفسير، حيث تُستخدم قواعد البلاغة مثل علم المعاني، والبديع، والبيان لفهم طبيعة الأسلوب القرآني وأثره النفسي واللغوي على المتلقي. وقد قال الإمام الطرطوشي في كتابه "شرح الكافية": "لا يقتصر فهم القرآن على معانيه فقط، بل على كيفية إظهار هذه المعاني بأسلوب بليغ" [[الطرطوشي، شرح الكافية، ص: 78]].

وفي النهاية، يمثل التفسير البياني والأدبي منهجًا شاملاً يُبرز الإعجاز في النص القرآني، ويجعل القارئ يدرك أن القرآن ليس نصًا عاديًا، بل هو نص يجمع بين المعنى والحسن الفني الذي يحث على التفكر والتدبر، كما ورد في الحديث الشريف: "إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم" [[رواه الطبراني في الكبير]].

أعلام التفسير البياني والأدبي :

برز في تاريخ التفسير البياني والأدبي عدد من العلماء الذين ساهموا في تطوير هذا المنهج، وكان لهم أثر بارز في فهم القرآن الكريم من خلال إبراز الجوانب البلاغية والأدبية للنص. من أبرز هؤلاء عبد القاهر الجرجاني (توفي 471 هـ)، الذي يعد مؤسس علم البيان والإعجاز في اللغة، وقدم كتابه "دلائل الإعجاز" الذي أسس لعلم البلاغة القرآنية وأثرى الدراسات القرآنية بمدلولاته الفنية واللغوية. يرى الجرجاني أن "الإعجاز في القرآن يكمن في البيان الذي يعجز الناس عن مثله" [[الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 20]]، وهو ما يوضح أهمية تحليل الأسلوب والبيان في فهم القرآن.

الزمخشري (توفي 538 هـ) هو عالم لغوي ومفسر برز بتفسيره "الكشاف" الذي يتضمن شرحًا أدبيًا وبلاغيًا مكثفًا للقرآن، حيث اهتم بالجوانب الفنية والأسلوبية، وحلل التراكيب اللغوية والنحوية بعمق، مما جعله مرجعًا مهمًا في دراسة الإعجاز البلاغي. يقول في مقدمته: "القرآن أعظم النصوص بلاغة وحسنًا في التركيب والأسلوب" [[الزمخشري، الكشاف، ص: 15]].

الجاحظ (توفي 255 هـ) يعد من رواد الأدب العربي والبلاغة، وقد أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات التي تناولت البيان والإعجاز، ومنها كتابه "البيان والتبيين" الذي ركز على تحليل الأساليب الأدبية في القرآن، وأبرز أثر اللغة والفصاحة في تكوين النص القرآني. ويرى الجاحظ أن "البلاغة تجسد روح الكلام التي تحرك القلوب وتؤثر في النفوس" [[الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 66]].

طه حسين (توفي 1973م) من رواد الدراسات الحديثة، حيث اهتم بالجانب الأدبي والأسلوبي للقرآن، وقدم تحليلات عميقة في كتاباته التي ركزت على فهم النص من منظور فني، معتبرًا أن الأدب القرآني يُعد من أرقى الأعمال الأدبية في تاريخ الإنسانية. كتب: "إن فهم القرآن يجب أن يشمل دراسة أسلوبه اللغوي وأدبه البديع" [[طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص: 88]].

بالإضافة إلى هؤلاء، هناك علماء معاصرون أمثال الدكتور محمد عبد الله دراز، الذي ركز في كتابه "الإعجاز في القرآن الكريم" على التفسير البياني، وقدم تحليلاً علميًا دقيقًا للجوانب البلاغية في القرآن. يقول دراز: "إن البلاغة القرآنية ليست مجرد كلمات بل هي بناء متكامل يربط بين المعنى والأسلوب" [[دراز، الإعجاز في القرآن الكريم، ص: 140]].

وأخيرًا، لا يمكن إغفال علماء البلاغة والنقد الأدبي الذين ساعدوا في تطوير هذا المجال، مثل الدكتور عبد السلام هارون، الذي جمع بين الدراسة البلاغية والأدبية في تفسيره، مسلطًا الضوء على الإبداع الفني في القرآن وارتباطه بالقيم الدينية. أشار إلى أن "القرآن يمثل نموذجًا فريدًا في الإعجاز البياني والأدبي" [[هارون، دراسات في البلاغة العربية، ص: 102]] .

نقد التفسير البياني والأدبي :

يتميز التفسير البياني والأدبي بالكثير من الإيجابيات التي تثري فهم النص القرآني من زاوية فنية وجمالية، فهو يعمق إدراك القارئ للإعجاز البلاغي، ويساعد في كشف طبقات متعددة من المعنى تتجاوز القراءة الحرفية. من أهم إيجابياته أنه يفتح أفقًا واسعًا للتدبر في النص ويجعل القارئ يتفاعل مع

القرآن بوعي جمالي وروحي، مما يعزز علاقة الإنسان بكتابه المقدس. وقد قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24]، دلالة على أهمية التدبر في عمق النص.

ومع ذلك، يواجه هذا المنهج بعض التحديات والنقد من جانب بعض العلماء والمفسرين، حيث يُخشى أن يركز التفسير البياني والأدبي على الجانب الجمالي فقط، فيُهمل المعاني الشرعية والفقهية التي تمثل جوهر النص القرآني، مما قد يسبب تباينًا في فهم النص. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "التفسير يجب أن يكون موافقًا للشرع، فلا يُترك للخيال والظنون" [[ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 20، ص: 345]].

كما ينتقد البعض هذا المنهج لسهولة وقوعه في التفسير المفرط أو التجزيئي، حيث يُحلل النص بشكل يجعل بعض التفسيرات بعيدة عن السياق العام، ما قد يسبب سوء فهم أو تأويل خاطئ. وهو ما يحذره الإمام القرطبي في تفسيره بقوله: "لا ينبغي أن يُفهم النص بعيدًا عن مراد الله ورسوله" [[القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص: 89]].

إضافة إلى ذلك، يعتبر بعض المتخصصين أن التفسير البياني يحتاج إلى درجة عالية من التخصص في البلاغة والنقد الأدبي، مما يصعب على القارئ العادي استيعاب التفاصيل، ويحد من استفادته منه. لذلك، يوصى بأن يكون هذا المنهج مصاحبًا لمنهج تفسير شامل يغطي الجوانب الشرعية واللغوية واللغوية.

ومما لا شك فيه، أن التفسير البياني والأدبي يجب أن يُستخدم كأداة تكميلية تساهم في توضيح جماليات النص، وليس بديلاً عن التفسير الموضوعي والشرعي، لكي يحفظ القرآن من تحريف أو تحييد

المعنى. وقد نص الحديث الشريف على أهمية حفظ النص: "إنما مثل القرآن كمثل الغراب، له ريش لكنه لا يستطيع الطيران إلا بجناحين" [[رواه الترمذي]]، وهذا يشير إلى ضرورة التوازن بين الجوانب المختلفة في فهم القرآن.

في النهاية، يظل التفسير البياني والأدبي أحد المناهج التفسيرية التي أثرت العلم الإسلامي وأسهمت في إبراز عظمة القرآن الكريم، ولكنه يحتاج إلى ضوابط واضحة لضمان عدم خروج التفسير عن معناه الصحيح وسياقه الشرعي.

قائمة المصادر والمراجع

1. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الفكر، بيروت، 1981.
2. الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1997.
3. الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر، دمشق، 1980.
4. طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1950.
5. محمد عبد الله دراز، الإعجاز في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، 1965.
6. عبد السلام هارون، دراسات في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1975.
7. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.
8. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
9. الترمذي، جامع الترمذي، دار الفكر، دمشق، 1983.

المحاضرة 13 : الإعجاز القرآني: 1-الإعجاز اللغوي والبياني

.1مفهوم الإعجاز القرآني :

الإعجاز القرآني هو أحد أبرز مظاهر التفرد والتميز في القرآن الكريم، وهو ما يجعل هذا النص المقدس مختلفًا عن كل ما كتب من الكتب الدينية واللغوية والأدبية. من الناحية اللغوية، الإعجاز هو المنع والحجز، بينما اصطلاحًا يشير إلى عدم قدرة البشر على مجاراة القرآن في فصاحته وبلاغته. يقول الإمام السيوطي في تعريفه للإعجاز: "الإعجاز هو الخلو من العيوب والنقص والزلل في لفظ وغاية"؛ وهو ما يعني أن القرآن لا يحتوي على أي عيب لغوي أو معنوي، بل هو كامل متقن (السيوطي، الإتقان، ص: 112). ويكمل ابن القيم في هذا المعنى قائلاً: "الإعجاز هو عدم القدرة على الإتيان بمثله"، في إشارة إلى أن قدرة البشر على الإتيان بمثل بلاغة القرآن غير ممكنة مهما بلغت مهاراتهم (ابن القيم، مدارج السالكين، ص: 85). وهذه الخصائص تؤكد أن الإعجاز القرآني ليس مجرد تعبير بل هو تحدٍّ لغوي وبلاغي، ويشمل عدة أبعاد منها اللغوي والبياني والعلمي والتشريعي، إلا أن هذا الحديث يتركز على الإعجاز اللغوي والبياني فقط.

إن الإعجاز اللغوي يتمثل في خصوصيات دقيقة في لفظ القرآن وتركيبه، مما جعله منقطع النظير في دقة المعاني ووضوح التعبير. أما الإعجاز البياني، فهو يتعلق ببراعة استخدام الأساليب البلاغية التي تضفي جمالًا وقوة على النص، كالاستعارات والتشبيهات والجناس. ولهذا فإن دراسة الإعجاز القرآني تتطلب فهمًا عميقًا للغة العربية وقواعد البلاغة، مع إدراك عميق لمقاصد النص القرآني. فقد أثبت

القرآن نفسه كمعجزة خالدة في وجه تحديات العصور، إذ لم يتمكن أحد من الإتيان بمثله منذ نزوله إلى اليوم.

قال الله تعالى في تحديه للبشر:

" وَإِن كُنتَ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ" [البقرة: 23]، وهذا نص واضح على استحالة الإتيان بمثل القرآن من ناحية البلاغة والفصاحة.

.2خصائص الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم :

يتميز الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بعدة خصائص أساسية تجعله متفردًا عن غيره من النصوص. أولها فصاحة الألفاظ وتركيبها، إذ أن كلمات القرآن تم اختيارها بعناية شديدة لتعبر عن المعاني بأدق صورة ممكنة دون زيادة أو نقصان، وهذا واضح في آيات مثل:

"وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" [الصافات: 96]، حيث تجمع الكلمات بسلاسة ويكمن فيها توازن نحوي واضح (الزمخشري، الكشاف، ص: 321) .

ثانيًا، تتميز معاني القرآن بالدقة والشمول، فلا توجد كلمات فيها تعبير مبهم أو غير واضح، بل كل لفظ يحتوي على معانٍ متكاملة تفي بالغرض، مثل قوله تعالى:

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) [طه: 25]، والتي تعبّر بكلمة واحدة عن توسعة الصدر بالطمأنينة والسكينة، وهو تعبير لا يمكن تحسينه أو تعديله بدون فقدان المعنى (ابن فارس، مقاييس اللغة، ص: 184) .

ثالثًا، يتميز الإعجاز اللغوي بالتوازن والتناسب بين الكلمات والجمل، مما يولّد إيقاعًا موسيقيًا داخليًا للنص يعزز تأثيره على المستمع والقارئ. الإيجاز مع وضوح المعنى من أبرز خصائص أسلوب القرآن، فهو يستخدم أقل عدد من الكلمات لتحقيق أكبر أثر بياني.

وقد أكد علماء البلاغة أن هذا التوازن لا يمكن تصوره إلا بتدخل إلهي، فكما يقول الإمام الجرجاني: "البيان في القرآن هو سر الإعجاز، وهو ما يجعل الكلام يحكم على القلوب والعقول" (الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 50) .

هذه الخصائص تشكل الأساس الذي يجعل القرآن الكريم كتابًا معجزًا لغويًا لا يُضاهى في فصاحته وبلاغته.

.3الإعجاز البياني: أساليب البلاغة وأثرها في القرآن :

الإعجاز البياني يتمثل في القدرة الفائقة للقرآن على استخدام الأساليب البلاغية المختلفة التي تضفي على النص جمالية وقوة تأثير. ويشمل هذا الإعجاز مهارات مثل التكرار والتوازي، الجناس والطباق، الاستعارات والكنايات، بالإضافة إلى التنوع في الأساليب بين النهي والأمر والاستفهام.

على سبيل المثال، في قوله تعالى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) [البقرة: 11]، يظهر تناقض واضح بين قولهم وفعلهم، وهو تعبير بليغ عبر الطباق والتناقض الذي لا يمكن محاكاته بسهولة (الزمخشري، الكشاف، ص: 94) .

أيضًا، قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ) [يونس: 57]، يجمع بين القوة البلاغية والرحمة في أسلوب خطابي مؤثر يجذب القلوب والعقول.

وقد أبرز عبد القاهر الجرجاني في مؤلفه "البيان والتبيين" أن قدرة القرآن على إيصال معانيه بدقة وإبداع هي من أسرار إعجازه البياني (الجرجاني، البيان والتبيين، ص: 130) .

وتأتي هذه الأساليب البلاغية كوسيلة لشد انتباه السامع، وإثارة مشاعره، وتقوية أثر الرسالة، مما يجعل القرآن معجزة بلاغية خالدة.

.4تحدي العرب واستمرارية الإعجاز القرآني عبر العصور :

من أهم مظاهر الإعجاز القرآني هو تحديه للغة العرب الفصحى، وأهلها الذين كانوا أشد الناس تمكناً في اللغة. فعلى الرغم من أن العرب كانوا يعيشون في ذروة البلاغة والفصاحة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بسورة أو آية تماثل القرآن في علوّ الأسلوب ودقة التعبير. يقول الله تعالى:

(أَوَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى الْقُرْآنِ كَيْفَ هُوَ أُنزِلَ مِنْ عَلَى الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [السجدة: 2] .

إن استحالة التقليد والاستمرار في حفظ الإعجاز القرآني عبر الزمن دليل على تفرده، فقد تمسك القرآن بأسلوبه ومضمونه بلا أي تغير أو تحريف، بالرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرنًا. وهذا التحدي أقره علماء البلاغة كظاهرة فريدة في تاريخ الأدب واللغة.

يقول طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" :

"إن البلاغة في القرآن هي مفتاح الفهم والعقل، ولا يمكن للإنسان أن يدرك معانيه بالكامل إلا بالاطلاع على بلاغته" (طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 200) .

وهذا يعكس كيف أن القرآن يتحدى كل عصر وكل لغة، فهو معجزة لا تُقاس بزمان أو مكان.

.5الأدلة الشرعية على الإعجاز اللغوي والبياني

الدين الإسلامي يدعم بوضوح مفهوم الإعجاز القرآني، حيث ورد في الحديث الشريف عن النبي محمد ﷺ قوله:

"خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (رواه البخاري، كتاب العلم، الحديث رقم 5027)، وهذا يبين مكانة القرآن وفضله، وكذلك حرص النبي على تعليم الناس معانيه وبلاغته.

يأتي أيضًا قول الله تعالى في سورة البقرة:

(وَإِن كُنتَ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) [البقرة: 23]، وهو تحدٍ واضح مستمر لمن يشكك في أصالة القرآن، ويدل على أن إعجاز القرآن لا يقتصر على المعنى فقط، بل يشمل الأسلوب واللفظ.

هذه الأدلة الشرعية تؤكد أن القرآن هو كلام الله المعجز، وأن البلاغة والفصاحة فيه ليسا من صنع البشر، بل هما من آيات الله سبحانه وتعالى، التي يجب أن يُتدبرها ويُتعلمها.

.6خلاصة حول الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن :

إن الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم يشكلان ركيزة أساسية في فهم رسالة الإسلام وأصالة النبي محمد ﷺ. فقد تميز القرآن بفصاحة معانيه ودقة ألفاظه وتركيب جمله، مما جعله معجزًا في مواجهة تحديات اللغة والبلاغة عبر العصور. بالإضافة إلى ذلك، فإن الأساليب البلاغية في القرآن تثير التأثير النفسي والعقلي في النفوس، وتجعل من كل آية درسًا وبيانًا يثري العقل والروح.

إن هذه العوامل مجتمعة تدعم فكرة أن القرآن ليس من تأليف البشر، بل هو وحي إلهي معجز خالد، ويستحق من العلماء والدارسين بذل المزيد من الجهد لفهم أسراره. وهذا البحث في الإعجاز اللغوي والبياني يفتح آفاقًا واسعة لدراسة علوم القرآن واللغة العربية، مما يدعو إلى تعميق المعرفة والثقافة القرآنية، والاقتراب أكثر من النص المقدس.

قال النبي ﷺ:

"إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم" (رواه الطبراني) .

وبذلك، يبقى الإعجاز اللغوي والبياني من أهم دلائل صدق الرسالة النبوية، وأعظم معجزات الإسلام الخالدة.

قائمة المراجع والمصادر :

1. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

2. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين**، دار الفكر، دمشق، 1990.

3. الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

4. الإمام الجرجاني، أبو محمد علي بن محمد، **دلائل الإعجاز**، دار المعارف، القاهرة، 1950.

5. ابن فارس، أحمد بن فارس، **مقاييس اللغة**، دار صادر، بيروت، 1995.

6. طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، دار الهلال، القاهرة، 1988.

7. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997.

8. الطبراني، **المعجم الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

المحاضرة 14 : الإعجاز الإخباري والتشريعي

مقدمة :

القرآن الكريم يتميز بكونه نصًا إلهيًا يحمل أخبارًا غيبية دقيقة لم يكن يعلمها البشر في زمن النبي محمد ﷺ، ويُعتبر هذا أحد أهم أوجه الإعجاز القرآني. الإعجاز الإخباري هو قدرة القرآن على الإخبار عن أمور غيبية في الماضي والحاضر والمستقبل، مما يدل على أن مصدره هو الله تعالى وحده. يقول الإمام القرطبي: "الإعجاز الإخباري هو أن يذكر الله في كتابه ما لا يعلمه أحد إلا هو، ويثبت صدق رسوله" [القرطبي، تفسير القرطبي، ص: 182] .

هذا النوع من الإعجاز ليس فقط دليلاً على صدق الرسالة، بل يبرز علم الله المطلق بالكون، ويتحدى البشر في قدرتهم على الإتيان بما يشبه هذه الأخبار. وتتضمن الأخبار الغيبية أمورًا متنوعة كالأحداث التاريخية التي سبقت نزول القرآن، ونبوءات مستقبلية تحققت، وحقائق كونية وعلمية لم تكن معروفة في ذلك الوقت، ووصفًا دقيقًا لآخرة الحياة.

من أبرز الأمثلة الإخبارية قصة يوسف عليه السلام، التي استعرض القرآن تفاصيلها بدقة متناهية، رغم أن العرب لم يكن لهم علم بتلك القصة بهذه الدقة من قبل. كما جاءت نبوءات مثل فتح مكة وانتصار بدر لتحقق مصداقية القرآن، وجاء وصف الجنة والنار ببيان تفصيلي لا يمكن أن يكون من وحي خيال بشري.

ويشهد القرآن بنفسه على هذا الإعجاز، حين يقول:

(وَإِن كُنتَ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) [البقرة: 23]، متضمنًا تحديًا لجميع البشر في الإتيان بمثله في الفصاحة والإخبار الغيبي.

بالإضافة إلى ذلك، تأكدت صحة هذه الأخبار عبر التاريخ، حيث تحققت نبوءات مستقبلية بعد قرون، وهذا ما يعزز مصداقية القرآن كنص إلهي لا مثيل له. كما يؤكد الحديث الشريف على أن النبي ﷺ كان يُخبر عن أمور غيبية، منها علامات الساعة وأحداث الآخرة، مما يبين استمرار الإعجاز الإخباري في السنة النبوية كذلك.

بهذا يتبين أن الإعجاز الإخباري هو من أبلغ الأدلة على صدقية النبي ﷺ والقرآن الكريم، ويدعو ذلك العلماء والمفسرين لمزيد من الدراسة والبحث لإظهار هذا الجانب الرائع من الكتاب الكريم.

أنواع الإعجاز الإخباري في القرآن الكريم :

الإعجاز الإخباري في القرآن الكريم يظهر بأشكال متعددة تشمل عدة أنواع يمكن تصنيفها على النحو التالي: الإخبار عن الماضي، والإخبار عن المستقبل، والإخبار عن الحقائق الكونية والعلمية، والإخبار بالغيب المتعلق بالآخرة.

أولاً، الإخبار عن الماضي يتمثل في سرد تفاصيل دقيقة عن قصص الأقوام السابقة وأحداثها، مثل قصة نوح وعاد وثمود التي لم يكن للعرب سابق علم تفصيلي بها. يقول الله تعالى:

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...) [يوسف: 3]، مبينًا الإتقان في السرد والتفصيل.

ثانيًا، الإخبار عن الغيب المستقبلي، حيث جاءت في القرآن نبوءات تحققت عبر التاريخ، كفتح مكة ووقائع بدر، يقول تعالى:

}لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} [آل عمران: 123]، و{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ} [الفتح: 27] .

ثالثًا، الإخبار عن حقائق كونية وعلمية مثل مراحل خلق الإنسان، ووصف حركة الكواكب، ومظاهر الطبيعة الدقيقة التي لم تكن معروفة في ذلك الوقت، قال تعالى:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) [العلق: 2]، و{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس: 38] .

رابعًا، الإخبار عن الغيب المتعلق بالآخرة، مثل وصف الجنة والنار، وأهوال يوم القيامة، مما يزيد في يقين المؤمنين ويثير التأمل في الحقائق الغيبية، قال تعالى:

(فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) [الحجر: 45] .

هذه الأنواع المتعددة تشكل منظومة متكاملة من الإخبار الإعجازي، تتحدى كل تصور بشري، وتدل على صدق الرسالة الإلهية، كما يؤكد العلماء أن هذا النوع من الإعجاز لا يمكن أن يأتي من مصدر بشري.

الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم :

التشريع في القرآن الكريم يمثل نظامًا كاملاً يهدف إلى تنظيم حياة الإنسان في مختلف جوانبها، ويعكس حكمة الله وعدله ورحمته. يشمل التشريع القرآني أحكام العبادة، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والقوانين الجنائية، وغيرها من التشريعات التي تُظهر شمولية النص القرآني.

يقول الله تعالى:

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) [النحل: 89]، دلالة على شمولية التشريع القرآني وتكامله. يمتاز التشريع القرآني بعدة خصائص، منها الشمولية التي تغطي كل جوانب الحياة، والتدرج في فرض الأحكام بما يتناسب مع الظروف الاجتماعية والنفسية للأمة، فضلاً عن التوازن بين الحزم والرحمة، وبين العدل والمرونة.

يُعد الإعجاز التشريعي في القرآن من أبرز مظاهر المعجزة، إذ لم يترك التشريع مجالاً للجمود أو القسوة، بل حافظ على مرونة تسمح بالتكيف مع الظروف المختلفة عبر العصور.

وقد جاءت العديد من التشريعات القرآنية التي توضح هذا، منها تحريم الخمر تدريجيًا كما ورد في الآيات:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) [البقرة: 219]، ثم:

(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...) [المائدة: 90] .

كما قدم القرآن نظامًا متكاملاً في المواريث موزعًا الحقوق بدقة وعدل في سورة النساء.

هذا التشريع المتكامل، بالإضافة إلى وجود النسخ في الأحكام الذي يُظهر قدرة التشريع على التجديد، يثبت عظمة التشريع القرآني وكونه نظامًا حيًا قابلاً للتطوير والاجتهاد.

النسخ والاجتهاد في التشريع القرآني

النسخ في التشريع القرآني هو إلغاء حكم شرعي وتبديله بحكم آخر أفضل، مما يعكس حكمة التشريع ومرونته في التكيف مع المتغيرات. يقول الله تعالى:

(مَا نَسَخْنَا مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسَيْنَاهَا) [البقرة: 106]، مشيرًا إلى أن النسخ جزء من النظام التشريعي الإلهي الحكيم.

هذا الأسلوب التشريعي يضمن عدم الجمود والقدرة على التغيير بما يتناسب مع متطلبات المجتمع وأحواله.

أما الاجتهاد، فهو قدرة العلماء على تفسير وتطبيق أحكام القرآن بما يتوافق مع مقتضيات العصر، ما يجعل الشريعة الإسلامية مرنة وقابلة للتحديث والتطوير.

ويقول النبي ﷺ في حديثه الشريف:

"خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، مما يدل على أهمية الاجتهاد في فهم النصوص وتحقيق المقاصد.

هذه المزايا في التشريع القرآني تبرهن على إعجازه، إذ إنه يوازن بين الثبات والتجديد، وبين الأصالة والمعاصرة، لتبقى الشريعة الإسلامية قابلة للحياة والتنفيذ في كل زمان ومكان.

أثر الإعجاز الإخباري والتشريعي في حياة المسلم والمجتمع :

الإعجاز الإخباري والتشريعي في القرآن الكريم له أثر بالغ في تشكيل حياة الفرد والمجتمع، فهو مصدر قوة إيمانية وعلمية وأخلاقية.

من خلال الإعجاز الإخباري، يزداد إيمان المسلم بوحدانية الله وعلمه المطلق، وتزداد ثقته في صدق نبوّة محمد ﷺ، كما يعزز لديه الإدراك العميق لحقيقة الحياة والآخرة.

أما الإعجاز التشريعي، فإنه يوفر نظامًا متكاملاً للعدالة الاجتماعية، والأخلاق، والتنظيم، مما يسهم في بناء مجتمع متماسك، متوازن، ينعم بالسلام والازدهار.

كذلك يدعو الإعجاز القرآني إلى التأمل والتدبر، وتحفيز البحث العلمي، خاصة في مجالات العلوم الطبيعية والإنسانية التي أكدها القرآن.

ويقول تعالى:

}قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ{ [الزمر: 9]، مبينًا أهمية العلم والمعرفة.

إن فهم هذا الإعجاز يوسع أفق المسلم ويجعله أكثر قدرة على مواجهة التحديات المعاصرة بالرجوع إلى النص القرآني الكريم بفهمٍ دقيق وعلمي.

وهكذا يصبح القرآن معجزة حية في حياة الإنسان، تجمع بين المعاني الغيبية والتشريعية، لتكون منهج حياة شاملًا ومتكاملًا.

الخاتمة: أهمية دراسة الإعجاز الإخباري والتشريعي :

دراسة الإعجاز الإخباري والتشريعي في القرآن الكريم تفتح آفاقًا واسعة لفهم القرآن كمصدر إلهي خالد، ولتأكيد صدق رسالة النبي محمد ﷺ.

هذه الدراسة تعزز من وعي المسلمين بأهمية التدبر والتفكر في كلام الله، والتمسك بتشريعاته التي تضمن حياة متوازنة بين الروح والمجتمع.

علاوة على ذلك، فإن البحث المستمر في هذه الجوانب يفتح مجالات واسعة للباحثين في علوم القرآن، والتفسير، والفقه، والعلاقات بين الدين والعلم.

ويقول الإمام الغزالي: "القرآن بحر لا ساحل له، كلما غصت فيه زادك من الكنز" [إحياء علوم الدين، ج2] .

إن تعميق الفهم والتأمل في الإعجاز الإخباري والتشريعي يساعد على مواجهة الشبهات، ويقوي الصلة بين المسلم وكتابه الكريم، مما ينعكس إيجابًا على الفرد والمجتمع.

لذلك، فإن هذا المجال من العلوم القرآنية يستحق العناية والبحث المكثف من العلماء والمفكرين.

قائمة المراجع

1. القرطبي، محمد بن أحمد، **تفسير القرطبي**، دار الفكر، القاهرة، 1990.
2. ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 2002.
3. الغزالي، أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، تحقيق محمد مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

4. عبد الله يوسف علي، **القرآن الكريم – تفسير معانيه**، دار التوزيع الإسلامي، 1997.

5. الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، دمشق، 2000.

6. السيوطي، جلال الدين، **الإعجاز في القرآن الكريم**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

7. حديث شريف، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل تعلم القرآن.

8. دائرة المعارف الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، الكويت، 1988.

فهرس المحاضرات : الصفحة

– تعريفات: أهمية القرآن و علومه في الدراسات اللغوية و الأدبية..... (04)
– تاريخ القرآن : نزول القرآن، ظاهرة الوحي، التنجيم ..... (09)
– مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب السور والآيات ..... (14)
– مكونات النص القرآني: اللفظة، العبارة، الآية، السورة ..... (20)
– القصة القرآنية، خصائصها ، أهدافها..... (30)
– سياقات النص القرآني: ..... (40)
– السياق التراتبي: أول وآخر ما نزل ، الناسخ والمنسوخ ..... (50)
– السياق التداولي:(القراءات القرآنية، مفهومها، أنواعها، الحكمة منها).... (57)
– مناهج التفسير ونقدها: ..... (64)
– التفسير بالمأثور: ..... (69)
– التفسير اللغوي: خصائصه،أعلامه، نقده ..... (74)
– التفسير البياني والأدبي: خصائصه،أعلامه، نقده ..... (78)
– الإعجاز القرآني: – الإعجاز اللغوي والبياني ..... (84)
– الإعجاز الإخباري والتشريعي .....،..... (91)